

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة الكهف مكية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَزْمًا ۖ فَيَسًا  
يُنزِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُنشِرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْشُونَ  
الصَّالِحِينَ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿١﴾ تَكْبِيرٌ فِيهِ أَيْدًا ﴿٢﴾ وَنُزِرَ  
الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٣﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ  
كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٤﴾ فَلَمَّا كَفَرَ  
بِئْسَ تَمَكَّنَ عَلَى أَعْيُنِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٥﴾

لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على  
أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام، وما أنزل على  
عبده محمد ﷺ من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم  
﴿ولم يجعل له عوجًا﴾ ولم يجعل له شيئًا من العوج  
قط، والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان، والمراد: نفي  
الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من  
الحكمة والإصابة فيه.

فإن قُلْتُ: بم انتصب ﴿قيمًا﴾؟ قُلْتُ: الأحسن أن  
ينتصب بمضمر، ولا يجعل حالًا من الكتاب؛ لأن قوله: ولم  
يجعل معطوف على أنزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله  
حالًا من الكتاب فاصل بين الحال وذو الحال ببعض الصلة،  
وتقديره: ولم يجعل له عوجًا جعله قِيمًا؛ لأنه إذا نفى عنه  
العوج فقد أثبت له الاستقامة.

فإن قُلْتُ: ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات  
الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر؟ قُلْتُ: فائدته التأكيد،  
فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أبنى عوج  
عند السبر والتصفع، وقيل: قِيمًا على سائر الكتب مصدقًا  
لها شاهدًا بصحتها، وقيل: قِيمًا بمصالح العباد وما لا بد  
لهم منه من الشرائع، وقرئ: قِيمًا. انذر متعد إلى مفعولين  
كقوله: ﴿إنا أنذرناكم عذابًا قريبًا﴾<sup>(١)</sup> فاقترصر على أحدهما  
وأصله ﴿لينذر﴾ الذين كفروا ﴿بإبسا شديدًا﴾ والبأس من  
قوله: ﴿بعذاب بئيس﴾<sup>(٢)</sup> وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل  
بأسًا وبأسه ﴿ومن لدنّه﴾ صادرًا من عنده، وقرئ: من لدنّه  
بسكون الدال مع إشمام الضمة وكسر النون ﴿ويبشر﴾  
بالتخفيف والتنقيط.

فإن قُلْتُ: لم اقتصر على أحد مفعولي انذر؟ قُلْتُ: قد

جعل المنذر به هو الغرض المسبوق إليه فوجب الاقتصار  
عليه، والدليل عليه تكرير الإنذار في قوله: ﴿ويُنذِر الذين  
قالوا اتخذ الله ولدًا﴾ متعلقًا بالمنذرين من غير نكر المنذر  
به كما نكر المبشر به في قوله: ﴿إن لهم أجرًا حسنًا﴾  
استغناء بتقدم نكره. والأجر الحسن الجنة ﴿ما لهم به من  
علم﴾ أي: بالولد أو باتخاذها يعني: أن قولهم هذا لم يصدر  
عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء، وقد اشتملته  
أبواهم من الشيطان وتسويله.

فإن قُلْتُ<sup>(٣)</sup>: اتخذ الله ولدًا في نفسه محال فكيف قيل:  
﴿ما لهم به من علم﴾؟ قُلْتُ: معناه ما لهم به من علم؛ لأنه  
ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء للعلم بالشيء، إِمَّا للجهل  
بالطريق الموصل إليه، وإما لأنه في نفسه محال لا يستقيم  
تعلق العلم به. قرئ: كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز  
والرفع إلى الفاعلية، والنصب أقوى وأبلغ وفيه معنى:  
التعجب، كانه قيل: ما اكبرها كلمة و ﴿تخرج من أفواههم﴾  
صفة للكلمة تفيد استعظامًا لاجترائهم على النطق بها  
وإخراجها من أفواههم، فإن كثيرًا مما يوسوسه الشيطان في  
قلوب الناس ويحدثون به أنفسهم من المنكرات لا يتملكون  
أن يتفوهوا به ويطلقوا به السننهم، بل يكظمون عليه تشورًا  
من إظهاره، فكيف بمثل هذا المنكر؟ وقرئ: كبرت بسكون  
الباء مع إشمام الضمة.

فإن قُلْتُ: إلام يرجع الضمير في ﴿كبرت﴾؟ قُلْتُ: إلى  
قولهم: ﴿اتخذ الله ولدًا﴾ وسميت كلمة كما يسمون القصيدة  
بها.

شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما  
تداخله من الوجد والأسف على توليهم، برجل فارقه أحبته  
واعزته، فهو يتساقط حشرات على آثارهم، وينزع نفسه  
وجدًا عليهم وتلهفًا على فراقهم. وقرئ: باخ نفسك على  
الأصل وعلى الإضافة أي: قاتلها ومهلكها، وهو للاستقبال  
فيمن قرأ إن لم يؤمنوا، أو للمضى فيمن قرأ إن لم  
يؤمنوا بمعنى: لأن لم يؤمنوا ﴿بهذا الحديث﴾ بالقرآن  
﴿أسفًا﴾ مفعول له أي: لفرط الحزن، ويجوز أن يكون  
حالًا، والأسف المبالغة في الحزن والغضب يقال: رجل  
أسف وأسيف.

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾  
وَأِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ  
الْكَهْفِ وَالرَّقِيصِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾

﴿ما على الأرض﴾ يعني: ما يصلح أن يكون زينة لها

(1) ولا ترى الضب بها ينحجر

(2) وقد قمت حينئذ أن الكلام، وارد على سبيل الحقيقة والأصل،  
وإن نفي إنزال السلطان، تارة يكون لاستحالة إنزاله ووجوده،  
وتارة يكون، لأنه لم يقع، وإن كان ممكنًا، والله أعلم.

(1) سورة النبا، الآية: 40.

(2) سورة الأعراف، الآية: 165.

(3) قال أحمد: قد مضى له في قوله تعالى: ﴿وإن تشركوا بالله ما لم  
ينزل به سلطانًا﴾ أن ذلك وارد على سبيل التهمك، وإلا فلا سلطان  
على الشرك، حتى ينزل ونظيره.

وإذا كثر احتاج إلى أن يعد.

ثُمَّ بَسَّطَهُمْ يَمَّعَرُ أَيُّ الْمَرْبِيِّ أَحْسَنُ لِمَا يَسْتَوْأُ أَمَدًا ﴿١٣﴾ مَعْنُ نَفَّسُ عَلَيْكَ تَأَهُمُ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ أَمَامُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّتْهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾.

أَيُّ: يتضمن معنى: الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه. وقرئ: ليعلم وهو معلق عنه أيضًا؛ لأن ارتفاعه بالابتداء لا بإسناد يعلم إليه، وفاعل يعلم مضمون الجملة كما أنه مفعول تعلم ﴿أي الحزبيين﴾ المختلفين منهم في مدة لبثهم؛ لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله: ﴿قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾<sup>(2)</sup> وكان الذين قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم هم: الذين علموا أن لبثهم قد تطاول، أو أي الحزبيين المختلفين من غيرهم و ﴿أحصى﴾<sup>(3)</sup> فعل ماض أي: أيهم ضبط ﴿أمداً﴾ لأوقات لبثهم.

فإن قُلْتُ: فما تقول فيمن جعله من أفعال التفضيل؟ قُلْتُ: ليس بالوجه السديد وذلك أن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس، ونحو: أعدى من الجرب، وأقلس من ابن العذاق، وشاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به؟ ولأن أمداً<sup>(4)</sup> لا يخلو إما أن ينتصب بأفعل، فأفعل لا يعمل، وإما أن ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى، فإن زعمت أني أنصبه بإضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر في قوله:

وأضرب منا بالسيوف القوائسا

على تضرب القوائس فقد أبعدت المتناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلاً ثم رجعت مضطراً إلى تقديره وإضماره.

فإن قُلْتُ: كيف جعل الله تعالى العلم بإحصائهم المدة غرضاً في الضرب على آذانهم؟ قُلْتُ: الله عز وجل لم يزل عالماً بذلك، وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدولوا إيماناً واعتباراً ويكون لطفاً لمؤمني زمانهم، وآية بينة لكفارهم ﴿ووزدناهم هدى﴾ بالتوفيق والتثبيت.

وَرَبَّنَا عَلَّ قُلُوبِهِمْ إِذْ كَانُوا فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ أَسْتَوَتْ وَالْأَرْضُ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا سَطَطًا ﴿١٤﴾.

﴿وربطنا على قلوبهم﴾ وقويانها بالصبر على هجر الأوطان والنعيم والفرار بالدين إلى بعض الغيران، وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام ﴿إذ قاموا﴾ بين يدي الجبار وهو: يقينانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم ﴿فقالوا ربنا رب

ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها ﴿لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾ وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها، ثم زهد في الميل إليها بقوله: ﴿إننا لجاعلون ما عليها﴾ من هذه الزينة ﴿صعيداً جرزاً﴾ يعني: مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة في إزالة بهجته، وإمطة حسنة، وإبطال ما به، كان زينة من إمطة الحيوان، وتجفيف النبات والأشجار ونحو ذلك، نكر من الآيات الكلية تزيين الأرض مما خلق فوقها من الأجناس التي لا حصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن ثم قال: ﴿أم حسبت﴾ يعني: أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة. والكهف الغار الواسع في الجبل ﴿والرقيم﴾ اسم كلبهم، قال أمية بن أبي الصلت:

وليس بها إلا الرقيم مجازاً وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل: هو لوح من رصاص رقمت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف، وقيل: إن الناس رقموا حديثهم نقرأ في الجبل، وقيل: هو الوادي الذي فيه الكهف، وقيل: الجبل، وقيل: قريتهم، وقيل: مكانهم بين غضبان وأيلة بون فلسطين ﴿كانوا﴾ آية ﴿عجبنا﴾ من آياتنا وصفاً بالمصدر أو على ذات عجب.

إِذْ أَوْبَ الْبَيْتِ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ وَهَيْئَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٥﴾.

﴿مز لندك رحمة﴾ أي: رحمة من خزائن رحمتك وهي: المغفرة والرزق والأمن من الأعداء ﴿وهيئ لنا من أمرنا﴾ الذي نحن عليه من مفارقة الكفار ﴿رشداً﴾ حتى نكون بسببه راشدين مهتدين، أو اجعل أمرنا رشداً كله كقولك: رأيت منك سداً.

فَقَرَّبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِينَتَ عَدُوِّكَ ﴿١٦﴾.

﴿فقرَّبنا على آذانهم﴾ أي: ضربنا عليها حجاباً من أن تسمع يعني: أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات كما نرى المستنقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه، فحذف المفعول الذي هو: الحجاب كما يقال: بنى على أمراته يريدون بنى عليها القبة ﴿سنتين عدداً﴾ ذوات عدد فيحتمل أن يريد الكثرة وأن يريد القلة؛ لأن الكثير قليل عنده كقوله: ﴿لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾<sup>(1)</sup> وقال الزجاج: إذا قل فهم مقدار عنده فلم يحتج أن يعد،

= في قوله تعالى: ﴿وأحصى كل شيء عدداً﴾ ويعضد جملة على أفعال التفضيل، وروده في نظير الواقعة، واختلاف الأحزاب في مقدار اللبث، وذلك في قوله تعالى: ﴿إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً﴾ فأمثلهم طريقة، هو: وأحصاهم لما لبثوا عدداً، وكلا الوجهين جائز، والله أعلم.

(1) سورة الأحقاف، الآية: 35.

(2) سورة الكهف، الآية: 19.

(3) قال أحمد: وقد جعل بعض النحاة بناء أفعل، من المزيد فيه الهمز قياساً، وادعى ذلك مذهباً لسيبويه، وعلمه بان بناءه منه لا يغير نظم الكلمة، وإنما هو تعويض همزة بهمزة.

(4) قال أحمد: ولقائل أن ينصبه على التمييز، كانتصاب العدد تمييزاً =

معرض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم، وقيل: في متفح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ﴿نلك من آيات الله﴾ أي: ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني: أن ما كان في ذلك السمتم تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصاً لهم بالكرامة، وقيل: باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة أبدأ، ومعنى نلك من آيات الله: أن شانهم وحديثهم من آيات الله ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم، فلفظ بهم وأعانهم وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنوية والاختصاص بالآية العظيمة، وأن كل من سلك طريقة المهتمين الراشدين فهو الذي أصاب الفلاح واهتدى إلى السعادة، ومن تعرض للخذلان فلن يجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله.

وَصَحَّبَهُمْ أَيَّكَاطَا وَهُمْ رُؤُودٌ وَتَقَلَّبَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ  
وَكَلَّبَهُمْ بَسِطَ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا  
وَلَكُنْتَ مِنْهُمْ رُحْبًا ﴿٧٠﴾

﴿وتحسبهم﴾ بكسر السين وفتحها خطاب لكل أحد، والأيقاط جمع يقظ كأنكاد في نكد، قيل: عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاط، وقيل: لكثرة تقلبهم، وقيل لهم: تقلبتان في السنة، وقيل: تقلبة واحدة في يوم عاشوراء، وقرئ: ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى، وقرئ: وتقلبهم على المصدر منصوباً وانتصابه بفعل مضمهر يدل عليه وتحسبهم أيقاط، كانه قيل: وترى وتشاهد تقلبهم. وقرأ جعفر الصائغ: وكالبهم أي: وصاحب كلبهم ﴿بساط ذراعيه﴾ حكاية حال ماضية؛ لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى الماضي، وإضافته إذا أضيف حقيقة معرفة كغلام زيداً، إلا إذا نويت حكاية الحال الماضية. والوصيد: الفناء، وقيل: العتبة، وقيل: الباب وأنشد:

بارض فضاء لا يسد وصيدها عليّ ومعروفي بها غير منك

وقرئ: ولملثت بتشديد اللام للمبالغة، وقرئ: بتخفيف الهمزة وقبلها ياء، و﴿رعباً﴾ بالتخفيف، والتثقيب وهو: الخوف الذي يربع الصدر أي: يملؤه، ونلك لما البسهم الله من الهيبة، وقيل: لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم، وقيل: لوحشة مكانهم، وعن معاوية: أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم، فقال له ابن عباس رضي الله عنه: ليس لك ذلك، قد منع الله تعالى منه من هو خير منك، فقال: ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً﴾ فقال معاوية: لا انتهي حتى أعلم علمهم، فبعث ناساً وقال لهم: انهبوا فانظروا، ففعلوا، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأحرقتهم<sup>(1)</sup>، وقرئ: لو اطلعت بضم الواو.

السفوات والأرض... شططاً قولاً ذا شطط وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه، من شط إذا بعد، ومنه: اشط في السوم وفي غيره.

هَؤُلَاءِ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٧١﴾

﴿هؤلاء﴾ مبتدأ و﴿قومنا﴾ عطف بيان و﴿واتخذوا﴾ خبر وهو إخبار في معنى إنكار ﴿لولا يأتون عليهم﴾ هلا يأتون على عبادتهم فحنف المضاف ﴿بسلطان بين﴾ وهو تبكيت؛ لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال، وهو دليل على فساد التقليد وأنه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت واثبت ﴿افتري على الله كذباً﴾ بنسبة الشريك إليه.

وَإِذْ اعْتزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُشْذِرْكُم إِلَّا اللَّهُ فَأَلْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ. وَهِيَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ بَرَقًا ﴿٧٢﴾

﴿وإذ اعتزلتموهم﴾ خطاب من بعضهم لبعض حين صمتم عزيمتهم على الفرار بدينهم ﴿وما يعبدون﴾ نصب عطف على الضمير يعني: وإذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم ﴿إلا الله﴾ يجوز أن يكون استثناء متصلاً على ما روي أنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما أهل مكة، وإن يكون منقطعاً، وقيل: هو كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفئة أنهم لم يعبدوا غير الله ﴿هرفقاً﴾ قرئ: بفتح الميم وكسرهما وهو ما يرتفق به أي: ينتفع إما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوح يقينهم، وإما أن يخبرهم به نبي في عصرهم، وإما أن يكون بعضهم نبياً.

﴿ورئى ألتمس إذا طلعت تزور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة بين ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتم ومن يضلل فلن تجد لهم ولياً رشحاً﴾

﴿تزاور﴾ أي: تمايل أصله تتزاور فحذف بإدغام التاء في الزاي، أو حذفها وقد قرئ بهما، وقرئ: تزور وتزاور بوزن تحمر وحمار وكلها من الزور وهو: الميل، ومنه: زاره إذا مال إليه، والزور: الميل عن الصديق ﴿ذات اليمين﴾ جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين ﴿تقرضهم﴾ تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال نو الرمة:

إلى ظعن يقرضن أفواز مشرف شمالاً وعن إيمانهن الفوارس  
﴿وهم في فجوة منه﴾ وهم في متسع من الكهف والمعنى: أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها، مع أنهم في مكان واسع منفتح

وَأرْخَسَ ﴿وَلِيَتَلَطَّفَ﴾ وليتكلف اللطف والنيقة<sup>(4)</sup> فيما يبأسره من أمر المبايعة حتى لا يغبن، أو في أمر التخفي حتى لا يعرف ﴿وَلَا يَشْعُرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ يعني: ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه إلى الشعور بنا، فسمى ذلك إشعارًا منه بهم لأنه سبب فيه.

إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكَ يَرْجُمُوكَ أَوْ يُبْدِرُوكَ فِي مَلَأْتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَى ﴿٥﴾

الضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ راجع إلى الأهل المقدر في أيها ﴿يَرْجُمُوكَ﴾ يقتلوكم أخبث القتلة وهي: الرجم، وكانت عانيتهم ﴿أَوْ يُبْدِرُوكُمْ﴾ أو يدخلوكم ﴿فِي مَلَأْتِهِمْ﴾ بالإكراه العنيف ويصيروكم إليها، والعود في معنى: الصيرورة أكثر شيء في كلامهم يقولون: ما عدت أفعل كذا يريون ابتداء الفعل ﴿وَلَنْ تَفْلِحُوا إِذَا أَبَى﴾ إن نخلتم في دينهم.

وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَمْلَأْنَا أَكْ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْنَا بَنِيَانًا لِمُنْجَمِنًا أَلَمْ نَعْلَمْ بِهُمْ قَالَ قَالُوا لَنْ نَبْنِيَهُمْ أَتَيْنَاهُمْ أَقْسَامًا ﴿٦﴾

﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ وكما أتمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم، ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ﴿أَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ﴾ وهو: البعث؛ لأنَّ حالهم في نومتهم وانتباهتهم بعدها كحال من يموت ثم يبعث و ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ﴾ متعلق بأعترنا أي: اعترناهم عليهم حين يتنازعون بينهم أمر دينهم، ويختلفون في حقيقة البعث، فكان بعضهم يقول: تبعث الأرواح دون الأجساد، وبعضهم يقول: تبعث الأجساد مع الأرواح، ليرتفع الخلاف وليتبين أنَّ الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت ﴿فَقَالُوا﴾ حين توفى الله أصحاب الكهف ﴿ابْنُوا عَلَيْنَا بَنِيَانًا﴾ أي: على باب كهفهم لثلاث يتطرق إليه الناس، ضئلاً بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله ﷺ بالحظيرة ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم ﴿لِنَتَّخِذَنَّ﴾ على باب الكهف ﴿مَسْجِدًا﴾ يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم، وقيل: ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ أي: يتنازع الناس بينهم أمر أصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم، وما أظهر الله من الآية فيهم، أو يتنازعون بينهم تبشير أمرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسئون الطريق إليهم، فقالوا: ابنوا على باب كهفهم بنيانًا، روي: أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطلعت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وكرهوا على عبادتها،

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنِسَاءٍ لَوْ بَيْنَهُمْ قَالَ قَالُوا لَنْ نَبْنِيَهُمْ أَتَيْنَاهُمْ أَقْسَامًا ﴿٧﴾

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ وكما أتمناهم تلك النومة، كذلك بعثناهم إنكارًا بقدرته على الإنامة والبعث جميعًا، ليسأل بعضهم بعضًا ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا، ويستتلوا على عظم قدرة الله تعالى، ويزدادوا يقينًا، ويشكروا ما أنعم الله به عليهم وكرموا به ﴿قَالُوا لَبِئْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ جواب مبني على غالب الظن، وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب، وأنه لا يكون كذبًا وإن جاز أن يكون خطأ ﴿قَالُوا بِكُمْ أَعْلَمَ بِمَا لَبِئْتُمْ﴾ إنكار عليهم من بعضهم، وأنَّ الله أعلم بمدّة لبئتهم، كأنَّ هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بإلهام من الله أنَّ المدّة متطوِّلة وإنَّ مقدارها مبهم لا يعلمه إلا الله. وروي: أنهم دخلوا الكهف غفوة، وكان انتباههم بعد الزوال، فظنوا أنهم في يومهم، فلما نظروا إلى طول أظفارهم أشعارهم قالوا ذلك.

فَإِنْ قُلْتُمْ: كَيْفَ وَصَلُوا قَوْلَهُمْ ﴿فَابْعَثُوا﴾ بتذاكر حديث المدّة؟ قُلْتُ: كأنهم قالوا: ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه، فخنوا في شيء آخر مما يهكم. والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة، ومنه الحديث: «إنَّ عرفة أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفًا من ورق فانتن، فأمره رسول الله ﷺ أن يتخذ أنفًا من ذهب<sup>(1)</sup>، وقرئ: بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة أو مكسورة، وقرأ ابن كثير: بورقكم بكسر الراء وإدغام القاف في الكاف، وعن ابن محيصن أنه كسر الواو وأسكن الراء وأدغم، وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حدّه. وقيل: المدينة طرسوس، قالوا: وتزوّدهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم لليل على أنَّ حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلمين على الاتفاقات وعلى ما في أوعية القوم من النفقات، ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن محرم يشدّ عليه هميانه: أوثق عليك نفقتك<sup>(2)</sup>، وما حكى عن بعض صعلاليك العلماء أنه كان شديد الحنين إلى أن يرزق حج بيت الله وتعلم منه ذلك، فكانت مياسير أهل بلده كلما عزم منهم فوج على حج أتوه فبئلوا له أن يحجوا به والحواء عليه، فيعتبر إليهم ويحمد إليهم بنذلهم فإذا انفضوا عنه قال لمن عنده: ما لهذا السفر إلا شيطان شدّ الهميان والتوكل على الرحمن ﴿إِيهَاهُ﴾ أي: أهلها، فحنن الأهل كما في قوله: ﴿وَاسْتَلِ الْقَرْيَةَ﴾<sup>(3)</sup> ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أحل وأطيب وأكثر

(1) رواه أبو داود في كتاب: الخاتم، باب: ما جاء في ربط الأسنان

(2) سورة يوسف، الآية: 82.

(3) أي: الإثقان.

(2) رواه ابن أبي شيبة: 50/4 في كتاب: الحج، باب: في الهميان =

عندهم، وأن المصيب منهم من يقول: ﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾. قال ابن عباس رضي الله عنه: أنا من أولئك القليل، وروي: أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي ﷺ، فجرى نكر أصحاب الكهف، فقال السيد وكان يعقوبياً كانوا ﴿ثلاثة رابعهم كلبهم﴾، وقال العاقب وكان نستطورياً كانوا ﴿خمس سادسهم كلبهم﴾، وقال المسلمون: كانوا ﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾، فحقق الله قول المسلمين، وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله ﷺ عن لسان جبريل عليه السلام، وعن علي رضي الله عنه: هم سبعة نفر، أسماؤهم: بليخا ومكشليتيبا ومثلينيا هؤلاء أصحاب يمين الملك، وكان عن يساره مرنوش وديرنوش وشانوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره، والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم نقيانوس، واسم مدينتهم أقسوس، واسم كلبهم قظمير.

فإن قُلْتُ: لم جاء بسين الاستقبال في الأول دون الآخرين؟ قُلْتُ: فيه وجهان: أن تدخل الآخرين في حكم السين كما تقول: قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعاً وأن تريد بفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له ﴿رجماً بالغيب﴾ رمياً بالخبر الخفي وإتياناً به كقوله: ﴿ويقذفون بالغيب﴾<sup>(1)</sup> أي: يأتون به، أو وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل: ظناً بالغيب؛ لأنهم أكثروا أن يقولوا: رجم بالظن مكان قولهم: ظن، حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين، ألا ترى إلى قول زهير:

وما هو عنها بالحديث المرجم

أي: المظنون. وقرئ: ثلاث رابعهم بإدغام الشاء في تاء التانيث، وثلاثة خبر مبتدأ محذوف أي: هم ثلاثة، وكذلك خمسة، وسبعة و ﴿رابعهم كلبهم﴾ جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة، وكذلك ﴿سادسهم كلبهم﴾ و﴿ثامنهم كلبهم﴾.

فإن قُلْتُ<sup>(2)</sup>: فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة، ولم دخلت عليها نون الأولين؟ قُلْتُ: هي الواو التي تدخل الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجل ومعه آخر، ومررت بزيد وفي يده سيف، ومنه قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من

وممن شدد في تلك دقيانوس، فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل، فأبوا إلا الثبات على الإيمان والتصلب فيه، ثم هربوا إلى الكهف ومزوا بكلب فتبعهم فطروه، فانطقه الله فقال: ما تريبون مني أنا أحب أحبائي الله فناموا وأنا أحرسكم، وقيل: مزوا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وبخلوا الكهف، فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقبل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن، وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين، فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحاً وجلس على رماد وسال ربه أن يبين لهم الحق، فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذة حظيرة لغنمه، ولما دخل المدينة من بعثه لابتياح الطعام، وأخرج الورق وكان من ضرب نقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزاً، فذهبوا به إلى الملك فقص عليه القصة، فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث، ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعينك به من شر الجن والإنس، ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم، فالقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب، فأرآهم في المنام كارهين الذهب فجعلها من الساج، وبنى على باب الكهف مسجداً. ﴿رابعهم أعلم بهم﴾ من كلام المتنازعين، كأنهم تذكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم ومدته لبيثهم، فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا: ﴿رابعهم أعلم بهم﴾ أو هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين، أو من الذين تنازعا فيهم على عهد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب.

سَيُولُونَ نَلْنَهُ رَأَاهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَمُوتُونَ كَسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَمًا بِالْيَتِيمِ وَيَمُوتُونَ سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرًّا ظَهَرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٧﴾

﴿سيقولون﴾ الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله ﷺ من أهل الكتاب والمؤمنين، سألوا رسول الله ﷺ عنهم، فأخبر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم، فنزلت إخباراً بما سيجري بينهم من اختلافهم في

(1) سورة سبأ، الآية: 53.

(2) قال أحمد: وهو الصواب، لا كمن يقول: إنها الواو الثمانية؛ فإن ذلك أمر لا يستقر لمثبته قدم، ويعنون من هذه الواو في قوله في الجنة: ﴿وفتحت أبوابها﴾ بخلاف أبواب النار، فإنه قال فيها: ﴿وفتحت أبوابها﴾ قالوا: لأن أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة، وهب أن في اللغة الواو تصحب الثمانية، فتخص بها، فإن نكر العدد في أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة، وهب أن في اللغة الواو تصحب الثمانية، فتخص بها، فإن نكر العدد في أبواب الجنة حتى ينتهي إلى الثامن، فنصحه الواو، وربما عدوا من ذلك، والناهون عن المنكر، وهو الثامن من قوله: ﴿التائبون﴾، وهذا =

= أيضاً مردود، بأن الواو إنما اقترنت بهذه الصفة، لترتبط بينها وبين الأولى، التي هي الأمر بالمعروف، لما بينهما من التناسب والربط، ألا ترى اقترانها في جميع مصارهما ومواردهما، كقوله: ﴿يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ وكقوله: ﴿وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر﴾ وربما عد بعضهم من ذلك الواو في قوله: ﴿ثيبات وإبكاراً﴾؛ لأنه وجدها مع الثامن، وهذا غلط فالحش، فإن هذه الواو التقسيم، ولو ذهب تحنفاً فتقول: ثيبات إبكاراً، لم يستدل للكلام، فقد وضح أن الواو في جميع هذه المواضع المعنوية واردة، لغير ما زعمه هؤلاء، والله الموفق.

تقوله بأن يائن لك فيه، والثاني: ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله أي: إلا بمشيئة الله، وهو في موضع الحال يعني: إلا ملتبساً بمشيئة الله قائلاً: إن شاء الله، وفيه وجه ثالث: وهو أن يكون إن شاء الله في معنى كلمة تأييد كأنه قيل: ولا تقولنه أبداً، ونحوه قوله: ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله﴾<sup>(4)</sup> لأن عودهم في ملتهم مما لن يشاءه الله، وهذا نهى تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش: سلوه عن الروح، وعن أصحاب الكهف، وذوي القرنين، فسألوه فقال: «أئتوني غداً أخبركم» ولم يستثن، فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش ﴿وانكر ربك﴾<sup>(5)</sup> أي: مشيئة ربك وقل: إن شاء الله إذا فرط منك نسيان لذلك، والمعنى: إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبذت عليها فتداركها بالذكر، وعن ابن عباس رضي الله عنه: ولو بعد سنة ما لم تحنث، وعن سعيد بن جبيرة ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة، وعن طاوس: هو على ثنياه ما دام في مجلسه، وعن الحسن: نحوه، وعن عطاء: يستثنى على مقدار حلب ناقة غزيرة، وعند عامة الفقهاء: أنه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولاً، ويحكى: أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس رضي الله عنه في الاستثناء المنفصل، فاستحضره لينكر عليه، فقال أبو حنيفة: هذا يرجع عليك، إنك تأخذ البيعة بالإيمان أفترضى أن يخرجوا من عنك فيستثنوا فيخرجوا عليك، فاستحسن كلامه ورضى عنه<sup>(6)</sup>، ويجوز أن يكون المعنى: وانكر ربك بالتسبيح<sup>(7)</sup> والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديداً في البعث على الاهتمام بها، وقيل: وانكر ربك إذا تركت بعض ما أمرك به، وقيل: وانكره إذا اعتراك النسيان لينكرك المنسي، وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند نكراه، و«هذا» إشارة إلى نبا أصحاب الكهف، ومعناه: لعَلَّ الله يؤثيني من اللبنيات والحجج على أني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشداً من نبا أصحاب الكهف، وقد فعل ذلك حيث أتاه من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم عن نلك وأدل، والظاهر أن يكون المعنى: إذا نسيت شيئاً فانكر ربك، ونكر ربك عند نسيانه أن تقول

قرية إلا ولها كتاب معلوم<sup>(1)</sup> وفائتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا: ﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾ قالوه: عن ثبات علم وطمانينة نفس، ولم يرجعوا بالظن كما غيرهم، والليل عليه أن سبحانه أتبع القولين الأولين قوله: ﴿رحمًا بالغيب﴾ وأتبع القول الثالث قوله: ﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾ وقال ابن عباس رضي الله عنه: حين وقعت الواو انقطعت العدة أي: لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات، وقيل: ﴿إلا قليل﴾ من أهل الكتاب، والضمير في سيقولون على هذا لأهل الكتاب خاصة أي: سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا، ولا علم بذلك إلا في قليل منهم، وأكثرهم على ظن وتخمين ﴿فلا تصار فيهم﴾ فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلا جدالاً ظاهراً غير متعمق فيه وهو: أن تقص عليهم ما أرحى الله إليك فحسب ولا تزيد، من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾<sup>(2)</sup> ﴿ولا تستفت﴾ ولا تسأل أحداً منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئاً فترده عليه وتزيف ما عنده؛ لأن ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة، ولا سؤال مسترشد لأن الله قد أرسلك بأن أوحى إليك قصتهم.

وَلَا تُوَلِّوْا لِسَانَ فِي فَاغِلٍ ذَلِكَ عَدَا (١٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ  
وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا  
رَشْدًا (١٤) وَلْيَسُوْا فِي كَهْمِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِتْرِكَ وَأَزَادُوا تَمًا (١٥).

﴿ولا تقولن لشيء﴾ ولا تقولن لأجل شيء تعزم عليه ﴿إني فاعل ذلك﴾ الشيء ﴿غدا﴾ أي: فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة ﴿إلا أن يشاء الله﴾ متعلق بالنهي لا بقوله: إني فاعل؛ لأنه لو قال: إني فاعل كذا إلا أن يشاء الله<sup>(3)</sup> كان معناه إلا أن تعترض مشيئة الله بون فعله، ونلك مما لا يدخل فيه للنهي، وتعلقه بالنهي على وجهين: أحدهما: ولا تقولن ذلك القول: إلا أن يشاء الله أن

(1) سورة الحجر، الآية: 4. = لا يشاؤه على زعمهم الفاسد، فما أبعد عقدهم من قواعد الشرع، فسحقاً سحقاً.

(2) سورة الأعراف، الآية: 89.

(3) قال أحمد: أما ظاهر الآية، فمقتضاه الأمر بتدارك المشيئة متى نكرت، ولو بعد الطول، وأما حلها للبعين حينئذ، فلا دليل عليه منها، والله أعلم (قال: ويجوز أن يكون المعنى: وانكر ربك بالتسبيح إلخ).

(4) حديث ابن عباس أخرجه الحاكم في المستدرک 303/4.

(5) قال أحمد: ويؤيد هذا التاويل بقوله تعالى أول القصة: ﴿أم حسب أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾ فافتتح ذكر القصة بتقليل شأنها، وإنكار عده من عجائب آيات الله، ثم ختمها بامره عليه الصلاة والسلام بطلب ما هو أرشد، وأنخل في الآية، والله أعلم.

(1) قال أحمد: ولا بد من حمل الكلام على أحد الوجهين المنكورين، ولولا ذلك، لكان المعنى على الظاهر ببدائى الرأي، ولا تقولن لشيء إني فاعل نلك غداً، إلا أن يشاء الله أن تقول هذا القول، وليس الغرض نلك، وإنما الغرض النهي عن هذا القول، إلا مقروناً بقول المشيئة، ولبت شعري ما معنى قول الزمخشري في تفسير الآية، كان المعنى إلا أن تعترض المشيئة بونه، معتقداً أن مشيئة الله تعالى لا تعترض على فعل أحد، فكم شاء من الأفعال فتركت، وكم شاء من التروك ففعلت، على زعم القدرية، فلا معنى على أصلهم الفاسد، لتعليق الفعل بالمشيئة قولاً، وهو غير متعلق بها وقوعاً، حتى أن قول القائل: لا أفعل كذا، إلا أن يشاء الله أن أفعله، وكذا، ويخلف بتقدير فعله إذا كان من قبيل المباح؛ لأن الله تعالى =

ملتجأ تعدل إليه إن هممت بذلك.

وَأَسِيرَ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْعَيْشِ يُرِيدُونَ  
وَجْهَهُمْ وَلَا تَمُدُّ مَعَنَكَ قُلُوبَهُمْ فَرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ  
أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿١٧﴾.

قال قوم من رؤساء الكفرة رسول الله ﷺ: نح هؤلاء  
الموالي الذين كأن ريحهم الضأن وهم: صهيب وعمار  
وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين، حتى نجالسك، كما  
قال قوم نوح: ﴿انؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ (5) فنزلت  
﴿واصبر نفسك﴾ واحسبها معهم وثبتها. قال أبو نؤيب:

فصبرت عارفة لملك حرّة ترسو إذا نفس الجبان تطلع  
﴿بالغداة والعشي﴾ دائبين على الدعاء في كل وقت،  
وقيل: المراد صلاة الفجر والعصر، وقرئ: بالغدوة،  
وبالغداة أجود؛ لأن غدوة علم في أكثر الاستعمال وإخال  
اللام على تاويل التكبير، كما قال: والزيد زيد المعارك،  
ونحوه قليل في كلامهم. يقال: غداه إذا جاوزه، ومنه قولهم:  
عدا طوره، وجاءني القوم عدا زيد، وإنما عدى بعن  
لتضمين عدا معنى: نبا، وعلا في قولك: نبت عنه عينه،  
وعلت عنه عينه إذا اقتحمته ولم تعلق به.

فإن قُلْتُ: أي غرض في هذا التضمين، وهلا قيل: ولا  
تعدهم عينك، أو لا تمل عينك عنهم؟ قُلْتُ: الغرض فيه  
إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ، ألا  
ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عينك  
مجاوزتين إلى غيرهم، ونحوه قوله تعالى: ﴿ولا تاكلوا  
أموالهم إلى أموالكم﴾ (6) أي: ولا تضموها إليها أكليين لها،  
وقرئ: ولا تعد عينيك، ولا تعد عينيك: من أعداه وعدها نقلاً  
بالهمزة، وتثقل الحشو، ومنه قوله:

فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له

لأن معناه: فعد همك عما ترى، نهي رسول الله ﷺ أن  
يزدرى بفقراء المؤمنين، وأن تنبو عينه عن رثائه زيهم  
طموحاً إلى زِي الأغنياء وحسن شارتهم ﴿تريد زينة  
الحياة الدنيا﴾ في موضع الحال (7) ﴿من أغفلنا قلبه﴾  
من جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر بالخذلان. أو وجدناه غافلاً  
عنه كقولك: أجبتته أقحمته وأبخلته إذا وجدته كذلك (8)، ومن  
أغفل إبله إذا تركها بغير سمة أي: لم نسمة بالذکر، ولم

عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب  
منه ﴿رشداً﴾ وأبني خيراً ومنفعة، ولعل النسيان كان  
خيرة كقوله: ﴿أو ننسها نات بخير منها﴾ (1) ﴿وليتوا في  
كفهم ثلاثمائة سنين﴾ يريد لبتهم فيه أحياء مضرورياً  
على أذانهم هذه المدّة، وهو بيان لما أجمل في قوله:  
﴿فصبرنا على أذانهم في الكهف سنين عدداً﴾ (2).

قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَ لَكُمْ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ  
وَأَسْمَعُ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ، مِنْ وَرَىٰ وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿١٧﴾.

ومعنى قوله: ﴿قل الله أعلم بما لبتوا﴾ أنه أعلم من  
الذين اختلفوا فيهم بمدّة لبتهم والحق ما أخبرك الله به،  
وعن قتادة: أنه حكاية لكلام أهل الكتاب ﴿وقل الله أعلم﴾  
ردّ عليهم، وقال في حرف عبد الله: وقالوا لبتوا، وسنين  
عطف بيان لثلاثمائة، وقرئ: ثلاثمائة سنين بالإضافة على  
وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله:  
﴿بالأخسرين أعمالاً﴾ (3) وفي قراءة أبي: ثلاثمائة سنة.  
﴿تسعاً﴾ تسع سنين؛ لأن ما قبله يدل عليه، وقرأ الحسن:  
تسعاً بالفتح. ثم نكر اختصاصه بما غاب في السموات  
والأرض وخفي فيها من أحوال أهلها ومن غيرها، وأنه هو  
وحده العالم به.

وجاء بما دل على التعجب من إدراكه المسموعات  
والمبصرات، للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عن حد  
ما عليه إدراك السامعين والمبصرين؛ لأنه يدرك اللفظ  
الأشياء وأصغرها كما يدرك أكبرها حجماً واكتفها جرماً،  
ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ﴿ما لهم﴾ الضمير لاهل  
السموات والأرض ﴿من ولي﴾ من متول لامورهم ﴿ولا  
يشرك في حكمه﴾ في قضائه ﴿أحدًا﴾ منهم، وقرأ  
الحسن: ولا تشرك بالثناء والجزم على النهي.

وَأَنْتَ مَا أَرْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَكَانَ  
يُحَدِّثُ مِنْ دُونِهِ مُتَعَدِّلاً ﴿١٧﴾.

كانوا يقولون له: اثت بقرآن غير هذا أو ببله، فقيل له:  
﴿واتل ما أوحى إليك﴾ من القرآن، ولا تسمع لما يهنون  
به من طلب التبديل، فلا مبدل لكلمات ربك أي: لا يقدر أحد  
على تبديلها وتغييرها، إنما يقدر على ذلك هو وحده ﴿وإذ  
بللنا آية مكان آية﴾ (4) ﴿ولن تجد من نونه ملتحداً﴾

= للمصداقة، ولا يتجراً على تفسير فعل أسنده الله إلى ذاته  
بالمصداقة، إلى تفهيم وجدان الشيء بفته، عن جهل سابق، وعدم  
علم.

(8) قال أحمد: وهذا التاويل فيه رقة حاشية، ولطافة معنى، وغرضه  
منه الخلاص مما قدمناه؛ لأنه وإن أبى خلق الله الغفلة في القلب،  
فلا يابى عدم كتب الإيمان، وإنما غرضنا التنبيه على أن مقصد  
الزمخشري الحيد عن القاعدة المتقدمة، والتاويل إنما يصار إليه  
إذا اعتاص الظاهر، وهو عندنا ممكن، فوجب الاعتصام به، والله  
الموفق.

(1) سورة البقرة، الآية: 106.

(2) سورة الكهف، الآية: 11.

(3) سورة الكهف، الآية: 103.

(4) سورة النحل، الآية: 101.

(5) سورة الشعراء، الآية: 111.

(6) سورة النساء، الآية: 2.

(7) قال أحمد: هو يشمر للهرب من الحق، وهو أن المراد: خلقنا له،  
وجدير به أن يشمر في اتباع هواه، فإن حمل أغفل على بلبه  
صرفه إلى الخذلان، وإلا أخرجه بالكناية عن بابه إلى باب أفعل =

مِنْ ذَهَبٍ وَيَسُونَ يُبَابَ حَضْرًا مِنْ سُنْدِينَ وَاسْتَبَقُوا مُشْكِبِينَ فِيهَا عَلَى  
الْأَرَابِكِ يَوْمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

من الأولى للابتداء، والثانية للتبيين. وتنكير أساور لإبهام أمرها في الحسن. وجمع بين السندس وهو: مارق من الديباج، وبين الإستبرق وهو: الغليظ منه، جمعاً بين النوعين. وخص الاتكاء؛ لأنه هيئة المنعمين والملوك على أسرتهم.

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمْ بِتِنَاجٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرَّاءَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْجَنَّتَيْنِ ءَأَمَّتَ أَكْلَهُمَا وَكَلَّمَ نَجْرِيئَهُ سَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ ﴾

﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾ أي: ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل، أحدهما كافر اسمه: قطروس والآخر مؤمن اسمه: يهوذا،

وقيل: هما المنكوران في سورة والصافات في قوله: ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾<sup>(4)</sup> ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرهما، فاشتري الكافر أرضاً بالفساد فقال المؤمن: اللهم إن أخي اشتري أرضاً بالفساد دينار وأنا اشتري منك أرضاً في الجنة بالفساد، فتصدق به، ثم بنى أخوه داراً بالفساد، فقال: اللهم إني اشتري منك داراً في الجنة بالفساد، فتصدق به. ثم تزوج أخوه امرأة بالفساد، فقال: اللهم إني جعلت ألفاً صدقاً للحرور، ثم اشتري أخوه خدماً ومتاعاً بالفساد، فقال: اللهم إني اشتريت منك الولدان المخلدين بالفساد، فتصدق به، ثم أصابته حاجة فجلس لآخيه على طريقه فمر به في حشمة فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله، وقيل: هما مثل لأخوين من بني مخزوم: مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأشد وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله ﷺ، وكافر وهو الأسود بن عبد الأشد ﴿جننتين من أعناب﴾ بستانين من كروم

﴿وحففناهما بنخل﴾ وجعلنا النخل محيطاً بالجننتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها مؤذرة بالأشجار المثمرة، يقال: حففوه إذا أطافوا به وحففته بهم أي: جعلتهم حافين حوله، وهو متعد إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولاً ثانياً كقولك: غشيه وغشيته به ﴿وجعلنا بينهما زرعاً﴾ جعلناها أرضاً جامعة للأقوات والفواكه، ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابهة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق، ونعتها بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص، ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به وهو السبع بالنهر الجاري فيها،

نجلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان<sup>(1)</sup>، وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله: ﴿واتبع هواه﴾ وقرئ: أغفلنا قلبه بإسناد الفعل إلى القلب على معنى: حسبنا قلبه، غافلين من أغفلته إذا وجدته غافلاً ﴿فرطاً﴾ متقدماً للحق والصواب نابذاً له وراء ظهره من قولهم: فرس فرط متقدماً للخيل.

﴿وَلِأَلْحَقُ مِنْ رَبِّكَ مَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحْمَقًا يَوْمَ يُسْرَدُ فِيهَا رِجْمُهُمْ يُسْرَدُونَ وَعَاوُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿وقل الحق من ربكم﴾ الحق خبر مبتدأ محذوف، والمعنى: جاء الحق وزاغت العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك، وجيء بلفظ الأمر والتخيير؛ لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكانه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين.

شبه ما يحيط بهم من النار بالسرايق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط، وبيت مسروق نو سرايق، وقيل هو: بخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار، وقيل: حائط من نار يطيف بهم ﴿يعاوثوا بماء كالمهل﴾ كقوله: فاعتبرا بالصيلم، وفيه تهكم، والمهل ما أتى من جواهر الأرض، وقيل: دردي الزيت ﴿يشوي الوجوه﴾ إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته. عن النبي ﷺ: «هو كعكر الزيت، فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه»<sup>(2)</sup>. ﴿بئس الشراب﴾ ذلك ﴿وساءت﴾ النار ﴿مرتفقاً﴾ متكأ من المرفق وهذا لمشاكلته قوله: ﴿وحسنت مرتفقاً﴾<sup>(3)</sup> وإلا فلا ارتفاع لأهل النار ولا اتكاء إلا أن يكون من قوله:

إني أرقبت فبت الليل مرتفقاً كان عيني فيها الصاب مذبوب

﴿إِنَّ أَرْبَعًا ءَأَمَّوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿أولئك﴾ خبر إن ﴿وإننا لا نضيع﴾ اعتراض، ولك أن تجعل إننا لا نضيع وأولئك خبرين معاً، أو تجعل أولئك كلاماً مستأنفاً بياناً للأجر المبهم.

﴿فإن قلت: إذا جعلت إننا لا نضيع خبراً، فأين الضمير الراجع منه إلى المبتدأ؟ قلت: من أحسن عملاً، والذين آمنوا وعملوا الصالحات، ينتظمها معنى واحد، فقام من أحسن مقام الضمير، أو أرت من أحسن عملاً منهم فكان كقولك: السمن منوان بدرهم.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ

(2) رواه الترمذي في السنن، كتاب: صفة جهنم، باب: ما جاء في صفة شراب أهل النار (الحديث رقم: 2584).

(3) سورة الكهف، الآية: 31.

(4) سورة الصافات، الآية: 51.

(1) قال أحمد: قد تقدم في غير ما موضع، أن أهل السنة يضيفون فعل العبد إلى الله تعالى، من حيث كونه مخلوقاً له، وإلى العبد من حيث كونه مقروناً بقدرته واختياره، ولا تنافي بين الإضافتين فيراهين السنة تتبعه أينما سلك، وأية توجه، فلا محيص له عنها بوجه.

جعله كافراً بالله جاحداً لأنعمه لشكه في البعث كما يكون المكتب بالرسول ﷺ كافراً ﴿لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي﴾ أصله لكن أنا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الإدغام، ونحوه قول القائل:

وترمينني بالطرف أي أنت منذب وتقليبيني لكن إياك لا أقلي أي: لكن أنا لا أقليك، وهو ضمير الشأن، والشأن الله ربي، والجملة خبر أنا والراجع منها إليه ياء الضمير، وقرأ ابن عامر: بإثبات ألف أنا في الوصل والوقف جميعاً وحسن تلك وقوع الألف عوضاً من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها إلا في الوقف، وعن أبي عمر: وأنه وقف بالهاء لكنه، وقرئ: لَكِنُّ هُوَ اللهُ رَبِّي بسكون النون وطرح أنا، وقرأ أبي بن كعب: لكن أنا على الأصل، وفي قراءة عبد الله: لكن أنا لا إله إلا هو ربي.

فإن قلت: هو استتراك لماذا؟ قلت: لقوله: ﴿أكفرت﴾ قال لأخيه: أنت كافر بالله، لكنني مؤمن موحد كما تقول: زيد غائب لكن عمراً حاضر.

وَلَوْلَا إِذْ دَعَلَتْ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ كَرِهَ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَا لَا وُلْدًا ﴿٢٤﴾ فَسَيَّرَ رَبِّيَ أَنْ يُؤَيِّنَ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَبِغًا زَلْفًا ﴿٢٥﴾ أَوْ يُصْبِحُ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَمْ طَلَبًا ﴿٢٦﴾.

ما شاء الله يجوز أن تكون ما موصولة مرفوعة المحل على أنها: خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر ما شاء الله، أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى: أي شيء شاء الله كان، ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله: ﴿ولو أن قرأتاً سيرت به الجبال﴾<sup>(3)</sup> والمعنى: هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها: الأمر ما شاء الله، اعترافاً بأنها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله، وإن أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها، وقلت: ﴿لا قوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ إقراراً بأن ما قويت به على عمارتها وتبديل أمرها إنما هو بمعونته وتأييده، إذ لا يقوي أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله تعالى. وعن عروة بن الزبير: أنه كان يتلم حائطه أيام الرطب فيدخل من شاء، وكان إذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج. من قرأ: أقل بالنصب فقد جعل أنا فصلاً، ومن رفع جعله مبتدأ وأقل خبره، والجملة مفعولاً ثانياً لترني، وفي قوله: ﴿وولدا﴾ نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله: ﴿وواعز نغزاً﴾ والمعنى: إن ترني أفر منك فانا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني جنة ﴿خيرًا من جنتك﴾ ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك.

والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى: الحساب

والأكل الثمر وقرئ: بضم الكاف ﴿ولم تظلم﴾ ولم تنقص، وآتت حمل على اللفظ: لأن كلنا لفظه لفظ مفرد ولو قيل: آتتا على المعنى لجاز. وقرئ: وفجرنا على التخفيف. وقرأ عبد الله: كل الجنين أتى أكله برد الضمير على كل.

وَكَانَ لَمْ تَرَ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٢٧﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن يُبَيِّدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٢٨﴾ وَمَا أَظُنُّ أَن تَسَاوَى قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنَهَا مُنْقَلَبًا ﴿٢٩﴾ قَالَ لَمْ سَاجِدٌ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكْفَرْتُ بِاللَّهِ خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ يَنْفُخُ فِي سَوَّكَ رَبِّكَ ﴿٣٠﴾ لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣١﴾.

﴿وكان له ثمر﴾ أي: أنواع من المال، من ثمر ماله إذا كثره، وعن مجاهد: الذهب والفضة أي: كانت له إلى الجنيتين الموصوفتين الأموال الدائرة من الذهب والفضة وغيرهما، وكان وافر اليسار من كل وجه متمكناً من عمارة الأرض كيف شاء ﴿وواعز نغزاً﴾ يعني: انتصاراً وحشماً، وقيل: أولاداً نكوراً؛ لأنهم ينفرون معه نون الإناث. يحاوره: يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع، وسألته فما أحر كلمة يعني: قطروس أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به في الجنيتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما، ويفاخره بما ملك من المال بونه.

فإن قلت: فلم أفر الجنة بعد التثنية قلت: معناه: ودخل جنته ماله جنة غيرها يعني: أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون، فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير، ولم يقصد الجنيتين ولا واحدة منهما ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ وهو معجب بما أوتي مفتخر به، كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو أقحش الظلم. إخباره عن نفسه بالشك في بيبودة جنته لطول أمه واستيلاء الحرص عليه، وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة، وإطراحه النظر في عواقب أمثاله، وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا السننهم فإن السنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه ﴿ولئن رددت إلى ربي﴾ إقسام منه على أنه إن ردد إلى ربه على سبيل القرض والتقدير وكما يزعم صاحبه، ليجدني في الآخرة خيرًا من جنته في الدنيا تلمعاً وتمنياً على الله وأدعاءً لكرامته عليه ومكانته عنده، وأنه ما أولاه الجنيتين إلا لاستحقاقه واستثنائه، وإن معه هذا الاستحقاق أينما توجه كقوله: ﴿إن لي عنده للحسنى﴾<sup>(1)</sup> ﴿لاوتين مالا وولدا﴾<sup>(2)</sup> وقرئ: خيرًا منهما رداً على الجنيتين ﴿منقلباً﴾ مرجعاً وعاقبة، وانتصابه على التمييز أي: منقلب تلك خير من منقلب هذه؛ لأنها فانية وتلك باقية ﴿خلقتك من تراب﴾ أي: خلق أصلك؛ لأن خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقاً له ﴿سواك﴾ علك وكمملك إنساناً نكراً بالغاً مبلغ الرجال.

(3) سورة الرعد، الآية: 31.

(1) سورة فصلت، الآية: 50.

(2) سورة مريم، الآية: 77.

أبي مقدارًا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها، وقال الزجاج: عذاب حسابان، وذلك الحسابان حساب ما كسبت يدك، وقيل: حسابًا مرامي الواحدة حسابانة، وهي: الصواعق ﴿صَعِيدًا زَلْقًا﴾ أرضًا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقًا، ﴿غُرُزًا﴾ كلاهما وصف بالمصدر.

وَأُحِيطَ بِخَبْرِهِ فَأَنْسَحَ عَلَيْكَ لَقْنِيهِ عَلَّ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿١٧﴾.

﴿وأحيط﴾ به عبارة عن إهلاكه وأصله من أحاط به العنق؛ لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه، ثم استعمل في كل إهلاك ومنه قوله تعالى: ﴿إلا أن يحاط بكم﴾<sup>(1)</sup> ومثله قولهم: أتى عليه إذا أهلكه، من أتى عليهم العنق إذا جاءهم مستطيلًا عليهم.

وتقلب الكفين كناية عن الندم والتحسر؛ لأن النادم يقلب كفيه ظهرًا لبطن، كما كنى عن نك بعض الكف والسقوط في اليد؛ ولأنه في معنى الندم عدى تعييته بعلى كأنه قيل: فأصبح بندم ﴿على ما أنفق فيها﴾ أي: أنفق في عمارتها ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ يعني: أن كرمها المعروشة سقطت عروشها على الأرض، وسقطت فوقها الكروم، قيل: أرسل الله عليها نارًا فاكلتها ﴿يا ليتني﴾ تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه، فتمنى لو لم يكن مشركًا حتى لا يهلك الله بستانه، ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندمًا على ما كان منه ودخولًا في الإيمان.

وَأَسْرَبَ لَهُمُ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَّ كُلِّ شَيْءٍ مُّخْتَصِرًا ﴿١٨﴾

﴿١٨﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿١٨﴾.

﴿فأختلط به نبات الأرض﴾ فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضًا، وقيل: نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفًا، وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الأرض، ووجه صحته أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه.

والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة. وقرئ: تذروه الريح، وعن ابن عباس: تنزيه الرياح من أذرى، شبه حال الدنيا في نضرتها وبيهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وأرقًا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن ﴿وكان الله على كل شيء﴾ من الإنشاء والإفناء ﴿مقتدرًا... الباقيات الصالحات﴾ أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان وتغني عنه كل ما تطمح إليه نفسه من حظوظ الدنيا، وقيل: هي الصلوات الخمس، وقيل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وعن قتادة: كل ما أريد به وجه الله ﴿خير... ثوابًا﴾ أي: ما يتعلق بها

رَبِّكَ زَكَاةً لَهُمْ يَوْمَ تَبْعُرُونَ عَنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴿١٩﴾

وقرئ: ولم يكن بالياء والتاء، وحمل ينصرونه على المعنى نون اللفظ كقوله: ﴿فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم﴾<sup>(2)</sup>.

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿ينصرونه من دون الله﴾؟ قلت: معناه يقدرون على نصرته من دون الله أي: هو وحده القادر على نصر، لا يقدر أحد غيره أن ينصره، إلا أنه لم ينصره لصارف وهو استيجابه أن يخذل ﴿وما كان منتصرًا﴾ وما كان ممتنعًا بقوته عن انتقام الله.

هَذَاكَ الْوَلِيَّةَ يَوْمَ خَرَجْتُمْ مِنْهَا وَعَبُءَ عِبَا ﴿٢٠﴾

﴿الولاية﴾ بالفتح النصرة والتولي، وبالكسر السلطان والملك. وقد قرئ بهما، والمعنى: هناك أي: في تلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها

1) سورة يوسف، الآية: 66.  
2) سورة آل عمران، الآية: 13.  
3) سورة الكهف، الآية: 42.  
4) سورة الكهف، الآية: 40.  
5) سورة غافر، الآية: 16.  
6) قال أحمد: وقد تقدم الإنكار عليه في مثل هذا القول، فإنه يومه أن القراءات موكولة إلى رأي الفصحاء، واجتهاد البلغاء، ففتاوت في =

﴿فأختلط به نبات الأرض﴾ فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضًا، وقيل: نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفًا، وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الأرض، ووجه صحته أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه.

والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة. وقرئ: تذروه الريح، وعن ابن عباس: تنزيه الرياح من أذرى، شبه حال الدنيا في نضرتها وبيهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وأرقًا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن ﴿وكان الله على كل شيء﴾ من الإنشاء والإفناء ﴿مقتدرًا... الباقيات الصالحات﴾ أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان وتغني عنه كل ما تطمح إليه نفسه من حظوظ الدنيا، وقيل: هي الصلوات الخمس، وقيل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وعن قتادة: كل ما أريد به وجه الله ﴿خير... ثوابًا﴾ أي: ما يتعلق بها



﴿قِبْلًا﴾ عيانًا. وقرئ: قِبْلًا أنواعًا جمع قبيل وقبلاً  
بفتحين مستقبلًا ﴿لِيُدْحِضُوا﴾ ليزيلوا ويبطلوا من  
إحاض القدم وهو: إنزاقها وإنزاقها عن موطنها ﴿وَمَا  
أَنْذَرُوا﴾ يجوز أن تكون ما موصولة ويكون الراجع من  
الصلة محذوفًا أي: وما أنذروه من العذاب، أو مصدرية  
بمعنى: وإنذارهم. وقرئ: هَذَا بِالسُّكُونِ أَي: اتخذوها  
موضع استهزاء. وجدالهم، قولهم للرسول: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ  
مِثْلُنَا﴾ (2) ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلْنَا مَلَأَكَةً﴾ (3) وما أشبه ذلك.

وَمَنْ أَظَاهَرَ مِنْ ذِكْرِ بَيِّنَاتٍ رَبُّهُ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَهُ إِذَا  
جَمَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى  
الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾.

﴿بَيِّنَاتٍ ربه﴾ بالقرآن ولنلك رجع إليها الضمير مذكرًا  
في قوله: ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ فاعرض عنها فلم يتذكر  
حين نكر ولم يتدبر ﴿ونسي﴾ عاقبة ﴿ما قدمت يدها﴾  
من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها ولا ناظر في أن  
المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء، ثم علل إعراضهم  
ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم، وجمع بعد الأفراد  
حملًا على لفظ من ومعناه ﴿فلن يهتدوا﴾ فلا يكون منهم  
اهتداء البتة كأنه محال لشدة تصميمهم ﴿أبدًا﴾ مدة  
التكليف كلها. وإذا جزاء وجواب، فدل على انتفاء اهتدائهم  
لدعوة الرسول بمعنى: أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب  
وجود الاهتداء سببًا في انتفائه، وعلى أنه جواب للرسول  
على تقدير قوله: مالي لا أذعوهم حرصًا على إسلامهم،  
فقيل: وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا.

وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَايِدُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ  
الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيِلًا ﴿٥٨﴾.

﴿الغفور﴾ البليغ ﴿ذو الرحمة﴾ الموصوف بالرحمة  
ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذه أهل مكة عاجلاً من  
غير إهمال، مع إفراطهم في عداوة رسول الله ﷺ ﴿بل  
لهم موعد﴾ وهو: يوم بدر ﴿لن يجدوا من دونه مؤئلاً﴾  
منجى ولا ملجأ. يقال: وال إننا نجا، ووال إليه إننا لجا إليه.

وَتِلْكَ الْقُرَى أَمْلَكْتُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا  
﴿٥٩﴾.

﴿وتلك القرى﴾ يريد: قرى الأولين من ثمود وقوم لوط  
وغيرهم أشار لهم إليها ليعتبروا، تلك مبتدأ، والقرى صفة؛  
لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس و﴿أهلكتناهم﴾  
خبر، ويجوز أن يكون تلك القرى نصبًا بإضمار أهلكتنا على  
شريطة التفسير، والمعنى: وتلك أصحاب القرى أهلكتناهم  
﴿لما ظلموا﴾ مثل ظلم أهل مكة ﴿وجعلنا لمهلكهم  
موعدًا﴾ وضربنا لإهلاكهم وقتًا معلومًا لا يتأخرون عنه كما

لي في الخلق فما لكم تتخونهم شركاء لي في العبادة!  
وقرئ: وما كنت بالفتح، الخطاب لرسول الله ﷺ والمعنى:  
وما صح لك الاعتضاد بهم، وما ينبغي لك أن تعتز بهم،  
وقرأ علي رضي الله عنه: وما كنت متخذ المضلين بالتنوين  
على الأصل، وقرأ الحسن: عضدًا بسكون الضاد ونقل  
ضمتها إلى العين، وقرئ: عضدًا بالفتح وسكون الضاد،  
وعضدًا بضميتين، وعضدًا بفتحيتين جمع عاضد كخادم  
وخدم وراصد ورسد. من عضده: إذا قواه وأعانه.

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ  
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٧﴾.

﴿يقول﴾ بالياء والنون وإضافة الشركاء إليه على  
زعمهم توبيخًا لهم، وأراد: الجن. والموبق: المهلك من وبق  
وبوقًا، ووبق يوبق وبقًا إذا هلك وأوبقه غيره، ويجوز أن  
يكون مصدرًا كالمورد والموعد يعني: وجعلنا بينهم وادبًا  
من أودية جهنم هو: مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركًا  
يهلكون فيه جميعًا، وعن الحسن: موبقًا عداوة والمعنى:  
عداوة نعي في شدتها هلاك كقوله: لا يكن حبك كلفًا ولا  
بغضك تلفًا، وقال الفراء: البين الوصل أي: وجعلنا  
تواصلهم في الدنيا هلاكًا يوم القيامة، ويجوز أن يريد  
الملائكة وعزيرًا وعيسى ومريم، وبالموبق البرزخ البعيد  
أي: وجعلنا بينهم أمدًا بعيدًا تهلك فيه الأشواط لفرط بعده؛  
لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان.

وَرَبَّاءُ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاعِمُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصَرًا  
﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ  
أَكْثَرَ نَسْوًا جَدَلًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى  
وَيَسْتَعْتَبُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولَى أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا  
﴿٥٩﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُحَدِّثُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
بِأَبْطُلِي لِيُدْحِضُوا بِهِ الْقُلُوبَ وَيُخَذِّبُوا عَابَتِي وَمَا أَنْذَرُوا هَرَبًا ﴿٥٩﴾.

﴿فظنوا﴾ فاقنوا ﴿مواقعوها﴾ مخالطوها واقعون  
فيها ﴿مصرا﴾ معدلاً قال:

أزهير هل عن شبية من مصرف

﴿أكثر شيء جدلاً﴾ أكثر الأشياء التي يتأتى منها  
الجدل إن فصلتها واحدًا بعد واحد خصومة وممارسة  
بالباطل، وانتصاب جدلاً على التمييز يعني: أن جدل  
الإنسان أكثر من جدل كل شيء، ونحو: ﴿فإنذا هو خصيم  
مبين﴾ (1) أن الأولى نصب، والثانية رفع، وقبلها مضاف  
محذوف تقديره ﴿وما منع الناس﴾ الإيمان والاستغفار  
﴿إلا﴾ انتظار ﴿أن تأتيهم سنة الأولين﴾ وهي الإهلاك  
﴿أو﴾ انتظار ﴿أن يأتيهم العذاب﴾ يعني: عذاب الآخرة

(3) سورة المؤمن، الآية: 24.

(1) سورة يس، الآية: 77.

(2) سورة يس، الآية: 15.

ضربنا لاهل مكة يوم بدر، والمهلك الإهلاك ووقته، وقرئ: لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة أو مكسورة أي: لهلاكهم، أو وقت هلاكهم، والموعود وقت أو مصدر.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْتِيكُمْ بِالْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ فَآذِنُوا لَهُمْ وَإِن يَمُرُّوا عَلَيْكُمْ فَاصْطَبِرُوا وَرُوَاهُ اللَّهُ لَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْبَاقِي

**﴿لِقَاتِهِ﴾** لعبدته وفي الحديث: «ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبيدي وأمتي»<sup>(1)</sup> وقيل: هو يوشع بن نون وإنما قيل: فتاه؛ لأنه كان يخدمه ويتبعه، وقيل: كان يأخذ منه العلم.

**فَإِن قُلْتُمْ: ﴿لَا أُبْرِح﴾** إن كان بمعنى: لا أنزل من برج المكان فقد دل على الإقامة لا على السفر، وإن كان بمعنى: لا أزال فلا بد من الخبر **قُلْتُمْ**: هو بمعنى: لا أزال وقد حذف الخبر؛ لأنّ الحال والكلام معاً يدلان عليه، أما الحال فلأنها كانت حال سفر، وأما الكلام فلأن قوله: **﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾** غاية مضرورية تستدعي ما هي غاية له، فلا بد أن يكون المعنى: لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين،

وجه آخر: وهو أن يكون المعنى: لا يبرح مسيري حتى أبلغ، على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه وهو ضمير المتكلم، فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف، ويجوز أن يكون المعنى: لا أبرح ما أنا عليه بمعنى: أزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفرقه حتى أبلغ. كما تقول: لا أبرح المكان، ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام، وهو: ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق، وقيل: طنجة، وقيل: إفريقية، ومن بدع التفاسير: أن البحرين موسى والخضر؛ لأنهما كانا بحرين في العلم، وقرئ: مجمع بكسر الميم وهي في الشذوذ من يفعل، كالمشرق والمطلع من يفعل **﴿أو أمضي حقباً﴾** أو أسير زماناً طويلاً، والحقب ثمانون سنة، وروي: أنه لما ظهر موسى على مصر مع بني إسرائيل واستقرّوا بها بعد هلاك القبط، أمره الله أن يذكر قومه النعمة، فقام فيهم خطيباً فنكر نعمة الله وقال: إنه اصطفى نبيكم وكلمه، فقالوا له: قد علما هذا فأبي الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إلى الله، فأوحى إليه: بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين، وهو: الخضر، وكان الخضر في أيام أفريديون قبل موسى عليه السلام، وكان على مقدمة نبي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى، وقيل: إن موسى سأل ربه أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي ينكرني ولا ينساني. قال: فأبي عبادك

أقضى؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى. قال: فأبي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تله على هدى أو ترده عن ردى، فقال: إن كان في عبادك من هو أعلم مني فابللني عليه؟ قال: أعلم منك الخضر. قال: أين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة. قال: يا رب كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً في مكتل فحيث فقدته فهو هناك. فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمשיان، فرقد موسى، فاضطرب الحوت ووقع في البحر، فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت، فأخبره فتاه بوقوعه في البحر، فأتيا الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوبه، فسلم عليه موسى، فقال: وأنى بارضنا السلام، فعرفه نفسه، فقال: يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمك الله لا أعلمه أنا، فلما ركبا السفينة جاء عصفور، فوقع على حرفها، فنقر في الماء، فقال الخضر: ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر.

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَيْلُهُ فِي الْبَحْرِ مَرِيًّا ﴿١٧﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ء إِنِّي نَسِيتُهَا لَئِن لَّمْ أَهْدِنَا اللَّهُ لَسَفِرْنَا هَذَا نَسِيًّا ﴿١٨﴾

**﴿نسيا حوتهما﴾** أي: نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل أمانة على الظفر بالطلبة، وقيل: نسي يوشع أن يقدمه، ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء، وقيل: كان الحوت سمكة ملوحة، وقيل: إن يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل، فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة، ونام موسى، فلما أصاب السمكة برد الماء وروحه عاشت. وروي: أنهما أكلا منها، وقيل: توحأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء **﴿سرباً﴾** أمسك الله جربة الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق، وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى أو للخضر **﴿فلما جاوزا﴾** الموعد وهو: الصخرة لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان منه، ونسيان يوشع أن ينكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه في البحر، وقيل: سار أبعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد إلى الظهر، والقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك، فتذكر الحوت وطلبه، وقوله: **﴿من سفرنا هذا﴾** إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة.

فَإِن قُلْتُمْ<sup>(2)</sup>: كيف نسي يوشع نك ومثله لا ينسى لكونه

= ليوشع أن يتيقظ موسى عليه السلام، لمنة الله تعالى على المسافرين في طاعة وطلب علم، بالتيسير عليه، وحمل الأعباء عنه، وتلك سنة الله الجارية في حق من صحت له نية في عبادة من العبادات، أن يبسرهما ويحمل عنه مؤنتها، ويتكفل به ما دام على تلك الحالة، وموقع الإيقاظ أنه وجد بين حالة سفره للموعد، وحالة مجاوزته بونا بينا، والله أعلم، وإن كان موسى عليه السلام متيقظاً

(1) رواه البخاري في كتاب: العتق، باب: كراهية التطاول على الرقيق (الحديث رقم: 2552)، ومسلم في كتاب: الألفاظ من الأدب، باب: حكم إطلاق لفظ العبد (الحديث رقم: 5835).

(2) قال أحمد: وقد ورد في الحديث، أن موسى عليه السلام لم ينصب، ولم يقل: لقد لغيتنا من سفرنا هذا نصيباً إلا منذ جاوز الموضوع الذي حدّه الله تعالى له، ففعل الحكمة في إنساء الله تعالى =

عَلِمَا ﴿١٦﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي وَمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿١٧﴾.

﴿رحمة من عندنا﴾ هي: الوحي والنبوة ﴿من لدنا﴾ مما يختص بنا من العلم وهو: الإخبار عن الغيوب ﴿رشدًا﴾ قرئ: بفتححتين وبضمة وسكون أي: علمًا ذا رشد أرشد به في ديني.

فإن قُلْتَ: ما نلت حاجته إلى التعلم من آخر في عهده أنه كما قيل: موسى بن ميثا لا موسى بن عمران؛ لأن النبي يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وإمامهم المرجوع إليه في أبواب الدين؛ قُلْتَ: لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله، وإنما يغض منه أن يأخذه ممن نونه، وعن سعيد بن جببر: أنه قال لابن عباس: إن نوقًا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى، وأن موسى هو موسى بن ميثا، فقال: كذب عدو الله<sup>(1)</sup>.

قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا تَرَىٰ تُحِطُّ بِهٖ سُبْرًا ﴿١٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١٩﴾.

نفي استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم، وعلل ذلك بأنه يتولى أمورًا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف إذا كان نبياً لا يتمالك أن يشتمن ويمتعض ويجزع إذا رأى تلك ويأخذ في الإنكار و﴿خبيراً﴾ تمييز أي: لم يحط به خبرك، أو لأن لم تحط به بمعنى: لم تخبره فنصبه نصب المصدر ﴿ولا أعصي﴾ في محل نصب عطف على صابراً أي: ستجديني صابراً وغير عاص، أو لا في محل عطفًا على ستجديني. رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده أن يستطيع معه صبراً بعد إفصاح الخضر عن حقيقة الأمر فوعده بالصبر معلقاً بمشيئة الله علمًا منه بشدة الأمر وصعوبته، وأن الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق، هذا مع علمه أن النبي المعصوم الذي أمره الله بالمسافرة إليه واتباعه واقتباسه العلم منه بريء من أن يباشر ما فيه غميرة في الدين، وأنه لا بد لما يستسمح ظاهره من باطن حسن جميل، فكيف إذا لم يعلم. قَالَ فَإِنِ ابْتِغَيْتَ فَلَا تَسْتَلْزِمَنِي عَنِ مَنِّهِ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٢٠﴾.

قرئ: ﴿فلا تستلمني﴾ بالنون الثقيلة يعني: فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئاً وقد علمت أنه صحيح إلا أنه غبي عليك وجه صحته فحميت وأنكرت في نفسك أن لا تفتاحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك، وهذا من آداب المتعلم مع العلم والمتبوع مع التابع.

أمره لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها، ولكونه معجزتين ثنتين. وهما حياة السمكة المملوحة الماكول منها، وقيل: ما كانت إلا شق سمكة، وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق، ونفوذها في مثل السرب منه، ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد حتى طلب موسى عليه السلام الحوت؟ قلت: قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان، وانضم إلى ذلك أنه ضرى بمشاهدة أمثاله عند موسى عليه السلام من العجائب واستانس بإخوانه فاعان الألف على قلة الاهتمام.

قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَبِئْتُ أَوْتَرَ وَمَا أَسْنِينِي إِلَّا السَّيْطَانُ أَنْ أَذْكَرُ وَأَعْتَدُ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٢١﴾.

﴿أرأيت﴾ بمعنى: أخبرني.

فإن قُلْتَ: ما وجه التثام هذا الكلام، فإن كل واحد من ﴿أرأيت﴾ و﴿إذ أويينا﴾ و﴿فإنني نسيت الحوت﴾ لا متعلق له؟ قُلْتَ: لما طلب موسى عليه السلام الحوت نكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية، فدهش وطفق يسأل موسى عليه السلام عن سبب نك كانه قال: أرأيت ما دهاني إذ أويينا إلى الصخرة فإنني نسيت الحوت، فحنف ذلك، وقيل: هي الصخرة التي تون نهر الزيت و﴿أن أنكره﴾ بدل من الهاء في إنسانيه أي: وما إنساني نكره إلا الشيطان، وفي قراءة عبد الله: أن أنكره و﴿عجبا﴾ ثاني مفعولي اتخذ مثل سريا يعني: واتخذ سبيلا سبيلاً عجبا وهو: كونه شبيه السرب، أو قال: عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها، أو مما رأى من المعجزتين، وقوله: ﴿وما إنسانيه إلا الشيطان أن أنكره﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، وقيل: إن عجبا حكاية التعجب موسى عليه السلام وليس بذلك.

قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَمَصًا ﴿٢٢﴾.

﴿نلك﴾ إشارة إلى اتخاذه سبيلاً أي: ذلك الذي كنا نطلب؛ لأنه أمره الظفر بالطلبة من لقاء الخضر عليه السلام. وقرئ: بغير ياء في الوصل وإبائتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو، وأما الوقف فالأكثر فيه طرح الياء اتباعاً لخط المصحف ﴿فارتدا﴾ فرجعا في إرجاعهما ﴿قمصا﴾ يقصان قمصاً أي: يتبعان آثارهما اتباعاً، أو فارتداً مقتصين.

فَوَيْدًا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ؕ آيَاتُهُ رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَمُنُهُ مِنْ لَدُنَّا

(1) رواه البخاري في كتاب: الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى عليه السلام (الحديث رقم: 3401)، ومسلم في كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخضر عليه السلام (الحديث رقم: 6113).

لذلك، فالمطلوب إيقاظ غيره من أمته، بل من أمة محمد عليه الصلاة والسلام، إذ قص عليهم القصة، فما أورد الله تعالى نصوص أنبيائه، ليسمر بها الناس، ولكن ليشمر الخلق لتبهرها، واقتباس أنوارها، ومنافعها عاجلاً وأجلاً، والله أعلم.

حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل (2) ﴿نَكَرًا﴾  
 وقرئ: بضمين وهو: المنكر، وقيل: النكر أقل من الأمر؛ لأن  
 قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة، وقيل معناه:  
 جئت شيئاً أنكر من الأول؛ لأن ذلك كان خرقاً يمكن تداركه  
 بالسدّ وهذا لا سبيل إلى تداركه.

فإن قُلْتُ: ما معنى زيادة لك؟ قُلْتُ: زيادة المكافحة  
 بالعتاب على رفض الوصية، والوسم بقلة الصبر عند الكرة  
 الثانية.

قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَدَّدَهَا فَلَا تُصَيِّبْنِي قَدْ بَلَّغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا  
 (٧٦).

﴿بعدها﴾ بعد هذه الكرة أو المسألة ﴿فلا  
 تصاحبيني﴾ فلا تقاربنني وإن طلبت صحبتك فلا تتابعني  
 على ذلك، وقرئ: فلا تصحبني فلا تكن صاحبي، وقرئ:  
 فلا تصحبني أي: فلا تصحبني إياك ولا تجعلني صاحبك  
 ﴿من لدني عذراً﴾ قد أعذرت، وقرئ: لدني بتخفيف  
 النون، ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد:  
 عضد، وعن رسول الله ﷺ: «رحم الله أخي موسى استحيا  
 فقال ذلك» (3). وقال: «رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو  
 لبث مع صاحبه لا يبصر أعجب الأعاجيب».

فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَفْهَمَ أَهْلَهَا فَأَبْوَأَ أَنْ يَضِيفُوهَا  
 فَرَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَفْصَلَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ  
 أَجْرًا (٧٧).

﴿أهل قرية﴾ هي انطاكية، وقيل: الأبله وهي أبعد  
 أرض الله من السماء ﴿أَنْ يَضِيفُوهَا﴾ وقرئ: يضيفوهما،  
 يقال: ضافه إذا إن له ضيفاً، وحقيقته: مال إليه من ضاف  
 السهم عن الغرض، ونظيره: زاره من الإزورار، وأضافه  
 وضيفه أنزله وجعله ضيفه، وعن النبي ﷺ: «كانوا أهل  
 قرية لثاماً» (4)، وقيل: شر القرى التي لا يضاف الضيف  
 فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه ﴿يريد أن ينفص﴾  
 استعيرت الإرادة للمدانة والمشاركة، كما استعير الهم  
 والعزم لذلك. قال الراعي:

في مهمه قلقت به هاماتها قلىق القوس إذا أربن نصولا  
 وقال:

يريد الرمح صدر أبي براء ويعدل عن لواء بني عقيل  
 وقال حسان:

إن دهرأ يلف شملي بجمل لزمان يهم بالإحسان  
 وسمعت من يقول: عزم الشراج أن يطفأ وطلب أن  
 يطفأ، وإذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب

فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَهَا يُنْغَرِقُ أَهْلَهَا  
 لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا إِمْرًا (٧٨) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ سَتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٩)  
 قَالَ لَا تُؤْيِيذُنِي بِمَا سَيِّئْتُ وَلَا تُرْهِقُنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا (٨٠) فَأَنْطَلَقَا حَتَّى  
 إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا  
 تُكْرَهُ (٨١) \* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ سَتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٨٢).

﴿فانطلقا﴾ على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا  
 قال أهلها: هما من اللصوص وأمروهما بالخروج، فقال  
 صاحب السفينة أرى وجوه الأبياء، وقيل: عرفوا الخضر  
 فحملوهما بغير نول، فلما لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق  
 السفينة بأن قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء، فجعل  
 موسى يسد الخرق بثيابه ويقول ﴿أخرقتها لتغرق  
 أهلها﴾ وقرئ: لتغرق بالتشديد، وليغرق أهلها من غرق  
 وأهلها مرفوع ﴿جئت شيئاً إمرًا﴾ أتيت شيئاً عظيماً من  
 أمر الأمر إذا عظم قال: داهية دهاية، إذا أمرًا.

﴿بما نسيت﴾ بالذي نسيت، أو بشيء نسيت أو  
 بنسياني، أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذه على الناسي،  
 أو إخراج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذه بالنسيان  
 يومه أنه قد نسي ليبسط عنده في الإنكار وهو من  
 معاريض الكلام التي يتقي بها الكذب مع التوصل إلى  
 الغرض كقول إبراهيم: هذه أختي، و ﴿إني سقيم﴾ (1) أو  
 أراد بالنسيان الترك أي: لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك  
 أول مرة.

يقال: رهقه إذا غشيه، وأرهبه إياه أي: ولا تغشني  
 ﴿عسرًا﴾ من أمرى وهو اتباعه إياه يعني: ولا تعسر علي  
 متابعتك ويسرها علي بالإغضاء وترك المناقشة، وقرئ:  
 عسرًا بضمين. ﴿فقتله﴾ قيل كان قتله قتل عنقه، وقيل:  
 ضرب برأسه الحائط، وعن سيعد بن جبير: أضجعه ثم  
 نبذه بالسكين.

فإن قُلْتُ: لم قيل ﴿حتى إذا ركبا في السفينة خرقها﴾  
 بغير فاء و ﴿حتى إذا لقيا غلاماً فقتله﴾ بالفاء؟ قُلْتُ: جعل  
 خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفاً  
 عليه والجزاء: قال أقتلت.

فإن قُلْتُ: فلم خولف بينهما؟ قُلْتُ: لأن خرق السفينة لم  
 يتعقب الركوب، وقد تعقب القتل لقاء الغلام. وقرئ: زاكية  
 وزكية وهي الطاهرة من الذنوب، إما لأنها طاهرة عنده؛ لأنه  
 لم يرها قد أنذبت، وإما لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث ﴿بغير  
 نفس﴾ يعني: لم تقتل نفساً فيقتص منها، وعن ابن عباس:  
 أن نجدة الحروري كتب إليه: كيف جاز قتله وقد نهى  
 رسول الله ﷺ عن قتل الولدان؟ فكتب إليه: إن علمت من

(1) سورة الصافات، الآية: 89.

(2) رواه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: النساء الغازيات يرضخ  
 لهن... (الحديث رقم: 4662).

(3) رواه ابن حبان في كتاب: الرقائق، باب: الادعية (الحديث رقم:  
 988).

(4) رواه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخضر عليه  
 السلام (الحديث رقم: 6115).

﴿إِنْ سَأَلْتَهُ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾<sup>(3)</sup> فأشار إليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه كما تقول: هذا أخوك، فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ، ويجوز أن يكون إشارة إلى السؤال الثالث أي: هذا الاعتراض سبب الفراق، والأصل هذا فراق بنيي وبينك، وقد قرأ به ابن أبي عيلة: فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به.

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَثَتُهُمْ مِمَّا كَسَبُوا وَكَانَ أَبُوهُمُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٦﴾ وَأَمَّا الْفُلُوكُ فَكَانَ أَبُوهُمُ الْمُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْفَعُوا طَغْيًا وَكُفْرًا ﴿٧٧﴾.

﴿لمساكين﴾ قيل: كانت لعشرة إخوة خمسة منهم زمني، وخمسة يعملون في البحر ﴿وراءهم﴾ أمامهم كقوله تعالى: ﴿ومن ورائهم برزخ﴾<sup>(4)</sup> وقيل: خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه، وما كان عندهم خبره، فأعلم الله به الخضر وهو: جلندي.

فَإِنْ قُلْتُمْ<sup>(5)</sup>: قوله: ﴿فأردت أن أعيبها﴾ مسبب عن خوف الغصب عليها، فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه؛ قُلْتُ: النية به التأخير وإنما قدم للعناية، ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده، ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك: زيد ظني مقيم. وقيل: في قراءة أبيي وعبد الله: كل سفينة صالحة. وقرأ الجحدري: وكان أبواه مؤمنان، على أن كان فيه ضمير الشأن، ﴿فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً﴾ فخشنا أن يغشى الولدين المؤمنين طغياناً عليهما وكفراً لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شر أو بلاء، أو يقرن بإيمانها طغيانه وكفره، فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر، أو يعديهما بدائه ويضلها بضلاله فيرتد بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الإيمان، وإنما خشي الخضر منه ذلك؛ لأن الله تعالى أعلمه بحاله وأطلعته على سر أمره، وأمره إياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته، وفي قراءة أبيي: فخاف ربك والمعنى: فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره، ويجوز أن يكون قوله: ﴿فخشينا﴾ حكاية لقول الله تعالى بمعنى: فكرهنا كقوله: ﴿لا هب لك﴾<sup>(6)</sup>.

فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّمَا سِرًّا مِنْهُ زَكْوَةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾.

والسكوت والتهمد والإيباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الإرادة! قال:

إذا قالت الانساع للبطن الحق تقول سني للنبوة طني  
لا ينطق للهو حتى ينطق العود  
وشكا إلي بعبرة وتحمم  
فإن يك ظني صادقاً وهو صدقي

﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾<sup>(1)</sup>

تمرد مارد وعز الأبلق ولبعضهم يأبى على إغفائه إغفاؤه  
هم إذا انقاد الهموم تمردوا

أبت الرواف والثدي لقصمها مس البطون وإن تمس ظهوراً  
قالتا ﴿أتينا طائعين﴾<sup>(2)</sup> ولقد بلغني بعض المحرفين لكلام الله تعالى ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر؛ لأن ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم أراه أعلى الكلام طبقة أناه منزلة، فتمحل ليرده إلى ما هو عنده أصح وأفصح، وعنده: أن ما كان أبعد من المجاز كان أنحل في الإعجاز، وانقض إذا أسرع سقوطه من انقضاظ الطائر وهو يفعل مطاوع قضضته، وقيل: افعل من النقض كاحمر من الحمرة، وقرئ: أن ينقض من النقض، وأن ينقص من انقاضت السن إذا انشقت طولاً. قال نو الرمة: منقاص ومنكتب بالصاد غير معجمة ﴿فأقامه﴾ قيل: أقامه بيده، وقيل: مسحه بيد فقام واستوى، وقيل: أقامه بعمود عمده به، وقيل: نقضه وبناء، وقيل: كان طول الجدار في السماء مائة ذراع، كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم، وقد لزتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسئلة فلم يجدا موسياً، فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن ﴿قال لو شئت لاتخذت عليه جزلاً﴾ وطلبت على عمك جعلاً حتى نتنعش، ونستدفع به الضرورة، وقرئ: لتخذت والتاء في تخذ أصل كما في تبع، واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الأخذ في شيء.

قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأَيْتُكَ بِأَوْبِيلٍ مَا لَرَّ تَسَلَّعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾.

فَإِنْ قُلْتُمْ: ﴿هذا﴾ إشارة إلى ماذا؟ قُلْتُ: قد تصوّر فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام:

= ضمير الجماعة والمعظم نفسه، في قوله: ﴿فأردنا أن يبدلها ربهما﴾ و ﴿خشينا أن يرهقهما﴾ ولعل إسناد الأول إلى نفسه خاصة، من باب الألب مع الله تعالى؛ لأن المراد: ثم عيب، فتأنيب بأن نسب الإعابة إلى نفسه، وأما إسناد الثاني إلى الضمير المنكور، فالظاهر أنه من باب قول خواص الملك: أمرنا بكذا، أو بدينا كذا، وإنما يعنون أمر الملك وديبر، ويدل على ذلك قوله في الثالثة: ﴿أراد ربك أن يبلغنا أشدهما﴾ فانظر كيف تغيرت هذه الأساليب، ولم تات على نمط واحد مكرر، بمجها السمع، وينبو عنها، ثم انطوت هذه المخالفة على رعاية الأسرار المنكورة، فسبحان اللطيف الخبير.

(6) سورة مريم، الآية: 19.

(1) سورة الاعراف، الآية: 154.

(2) سورة فصلت، الآية: 11.

(3) سورة الكهف، الآية: 76.

(4) سورة المؤمنون، الآية: 100.

(5) قال أحمد: وكانه جعل السبب في إعبتها، كونها لمساكين، ثم بين مناسبة هذا السبب للمسبب، بنكر عانة الملك في غضب السفن، وهذا هو حد الترتيب في التعليل، أن يرتب الحكم على السبب، ثم يوضح المناسبة فيما بعد، فلا يحتاج إلى جعله مقدماً، والنية تأخيرها، والله أعلم، ولقد تأملت من فصاحة هذه الآي، والمخالفة بينها في الأسلوب عجباً، ألا تراه في الأولى أسند الفعل إلى ضميره خاصة، بقوله: ﴿فأردت أن أعيبها﴾ وأسندته في الثانية إلى

وقرى: يبيلهما بالتشديد. والزكاة: الطهارة والنقاء من الذنوب. والرحم: الرحمة والعطف، وروي: أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي، فولدت نبياً هدى الله على يديه أمة من الأمم، وقيل: ولدت سبعين نبياً، وقيل: ابيلهما ابناً مؤمناً مثلهما.

وَأَنَا لَهْدَارُ مَكَانٍ يُقَلِّمِينَ يَسْمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ نَحْتَهُ كَثْرٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَرَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٧).

قيل: اسما الغلامين أصرم وصرم، والغلام المقتول اسمه: الحسين، واختلف في الكنز فقيل: مال مدفون من ذهب وفضة<sup>(1)</sup>، وقيل: لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن! وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب! وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح! وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل! وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها! لا إله إلا الله محمد رسول الله<sup>(2)</sup>، وقيل: صحف فيها علم، والظاهر لإطلاقه أنه مال، وعن قتادة: أحل الكنز لمن قبلنا وحرّم علينا، وحرّمت الغنيمة وأحلت لنا، أراد قوله تعالى: ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة﴾<sup>(3)</sup> ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ اعتداد بصلاح أبيهما وحفظ لحقه فيهما، وعن جعفر بن محمد الصانق: كان بين الغلامين وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء، وعن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما: يم حفظ الله الغلامين؟ قال: بصالح أبيهما قال: فأبى وجدني خير منه، فقال: قد نبأنا الله أنك قوم خصمون ﴿رحمة﴾ مفعول له أو مصدر منصوب بأراد ربك؛ لأنه في معنى رحمهما ﴿وما فعلته﴾ وما فعلت ما رأيت ﴿عن أمري﴾ عن اجتهادي ورأيي، وإنما فعلته بأمر الله.

وَرَبُّكَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ سَأَلُوا عَلَيْكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٧) إِنَّا مَكِّنَّا لَكَ فِي الْأَرْضِ وَوَعَيْنًا مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبِّحَ (٨٨) فَأَتَيْتَ سَبِيًّا (٨٩)

نو القرنين هو: الإسكندر الذي ملك الدنيا قيل: ملكها مؤمناً ذو القرنين وسليمان، وكافران نمرود وبختنصر<sup>(4)</sup> وكان بعد نمرود، واختلف فيه فقيل: كان عبداً صالحاً ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة واللبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة، فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه، وقيل: نبياً، وقيل: ملكاً من

الملائكة، وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقول: يا ذا القرنين، فقال: اللهم غفرًا ما رضيت أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة، وعن علي رضي الله عنه: سخر له السحاب، ومدّت له الأسباب، وبسط له النور، وسئل عنه فقال: أحب الله فأحبه. وسأله ابن الكوا: ما نو القرنين؟ أمك أم نبي؟ فقال: ليس بملك ولا نبي، ولكن كان عبداً صالحاً ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات، ثم بعته الله فضرب على قرنه الأيسر فمات، فبعته الله فسمي ذا القرنين، وفيكم مثله، وقيل: كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه، فيحبه الله تعالى، وعن النبي ﷺ: «سمى ذا القرنين؛ لأنه طاف قرني الدنيا»<sup>(5)</sup> يعني: جانبها شرقها وغربها، وقيل: كان له قرنان أي: ضفيريان، وقيل: انقرض في وقته قرنان من الناس، وعن وهب؛ لأنه ملك الروم وفارس، وروي: الروم والترك، وعنه: كانت صفحات رأسه من نحاس، وقيل: كان لتاجه قرنان، وقيل: كان على رأسه ما يشبه القرنين، ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشاً؛ لأنه ينطح أقرانه، وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره. والسائلون: هم اليهود سأله على جهة الامتحان؟ وقيل: سأله أبو جهل وأشياعه والخطاب في ﴿عليكم﴾ لأحد الفريقين ﴿من كل شيء﴾ أي: من أسباب كل شيء أراد من أغراضه ومقاصده في ملكه ﴿سبباً﴾ طريقاً موصلاً إليه، والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة. فأراد بلوغ المغرب ﴿فاتبع سبباً﴾ يوصله إليه حتى بلغ، وكذلك أراد المشرق فاتبع سبباً، وأراد بلوغ السنين فاتبع سبباً، وقرى: فاتبع.

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَرْبَ الْمَسِّ وَجَدَهَا قَرْبًا فِي عَيْبٍ حَمِيٍّ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا الْقَارِئِينَ إِنَّمَا أَنْتُمْ مُنذَرُونَ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ حَمِيٌّ حَمِيٍّ (٨٧)

قرى: ﴿حمئة﴾ من حمئت البئر إذا صار فيها الحماة، وحامية بمعنى: حارّة، وعن أبي نر: كنت رديف رسول الله ﷺ على جمل، فرأى الشمس حين غابت فقال: «يا أبا نر أتدري أين تغرب هذه؟» فقلت: الله ورسوله أعلم! قال: «فإنها تغرب في عين حامية»<sup>(6)</sup>. وهي: قراءة ابن مسعود، وطلحة، وابن عمر، وابن عمرو، والحسن، وقرأ ابن عباس: حمئة وكان ابن عباس عند معاوية، فقرأ معاوية: حامية، فقال ابن عباس: حمئة، فقال معاوية لعبد الله بن عمر: كيف تقرأ؟ قال: كما يقرأ أمير المؤمنين، ثم وجه إلى كعب الأحبار: كيف تجد الشمس تغرب؟ قال: في ماء وطنين، كذلك نجد في التوراة. وروي: في شاطئ فوافق قول ابن عباس، وكان ثمة رجل فانشد قول تبع:

= والزليعي 309/2.

(6) رواه الحاكم في المستدرک 2/244، والإمام أحمد في مسنده 5/165، والبخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة الشمس والقمر، (الحديث رقم: 3199)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان الحديث رقم: (398).

(1) رواه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الكهف، (الحديث رقم: 3152) والحاكم في المستدرک 2/369.  
(2) رواه البزار عن أبي ذر مرفوعاً.  
(3) سورة التوبة، الآية: 34.  
(4) رواه ابن أبي شيبه 11/564 كتاب: الفضائل، باب: في ذي القرنين.  
(5) قال الزليعي: غريب، ورواه الدارقطني في المؤتلف والمختلف =

الأرض.

كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَيْرٌ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَنْتَجَّ سَبِيًّا ﴿٨٢﴾

﴿كذلك﴾ أي: أمر ذي القرنين كذلك أي: كما وصفناه تعظيماً لأمره ﴿وقد أحطنا بما لديه﴾ من الجنود والآلات وأسباب الملك ﴿خبيراً﴾ تكثيراً لذلك، وقيل: ﴿لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾ مثل تلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية، والاكنان من كل جنس، والثياب من كل صنف، وقيل: بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أي: كما بلغ مغربها، وقيل: تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني: أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم.

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّيِّئَيْنِ جَدًّا مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٨٣﴾

﴿بين السيئين﴾ بين الجبلين، وهما جبلان سدّ نوا القرنين وما بينهما. قرئ: بالضم والفتح وقيل: ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح؛ لأنّ السد بالضم فعل بمعنى مفعول أي: هو مما فعله الله تعالى وخلقها، والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس. وانتصب ﴿بين﴾ على أنه مفعول به مبلوغ كما انجرّ على الإضافة في قوله: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ (2) وكما ارتفع في قوله: ﴿لقد تقطع بينكم﴾ (3) لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظرفاً، وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق ﴿من دونهما قوماً﴾ هم الترك ﴿لا يكادون يفقهون قولا﴾ لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم البكم، وقرئ: يفقهون أي: لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه؛ لأن لغتهم غريبة مجهولة.

قَالُوا يَا كَذَّبِ الْقَرْنَينِ إِنَّ يَأْتِيحَ وَمَأْتِيحَ مَسِيرُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَيْرًا عَلَىٰ أَنْ نَجْعَلَ لِيَنَّا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٨٤﴾

﴿يا جوج وماجوج﴾ اسمان أعجميان بلليل منع الصرف وقرئنا: مهموزين، وقرأ رؤية: أجوج وماجوج، وهما من ولد يافت، وقيل: يا جوج من الترك وماجوج من الجبل والديلم ﴿مفسدون في الأرض﴾ قيل: كانوا يأكلون الناس وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يبأسوا إلا احتملوه، وكانوا يلقون منهم قتلاً وأذى شديداً. وعن النبي ﷺ في صفتهم: «لا يموت أحد منهم حتى ينظر إلى ألف نكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح» (4). وقيل: هم على صنفين، طوال: مفرطو الطول، وقصار: مفرطو القصر، وقرئ: خرجاً وخرأجاً أي: جعلاً

فراى مغيب الشمس عند مأبها في عين ذي خلب وثاط حرمذ أي: في عين ماء ذي طين وحمل أسود، ولا تنافي بين الحمئة والحامية، فجاز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعاً.

قَالَ أَمَا مِنْ ظَلَمٍ مَسْوفَ نَعُذِبُهُ ثُمَّ رُدُّهُ إِلَىٰ رَبِّهِ فَمَعِدُهُ عَذَابًا نَكِرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَا مِنْ مَأْمَنٍ وَعَمَلٍ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ لِحَسَنِيٍّ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَنْتَجَّ سَبِيًّا ﴿٨٩﴾

كانوا كفرة فخيرهم الله بين أن يعذبهم بالقتل، وأن يدعوهم إلى الإسلام، فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم. فقال أَمَا من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذلك هو المعذب في الدارين ﴿وأما من آمن وعمل﴾ ما يقتضيه الإيمان ﴿فله جزاء الحسنى﴾ وقيل: خيره بين القتل والأسر، وسماه: إحساناً في مقابلة القتل، فله جزاء الحسنى فله أن يجازي المثوبة الحسنى، أو فله جزاء الفعل الحسنى التي هي كلمة الشهادة، وقرئ: فله جزاء الحسنى أي: فله الفعل الحسنى جزاء. وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القنور وهو العذاب النكر، ومن آمن أعطاه وكساه ﴿من أمرنا يسراً﴾ أي: لا سمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك، وتقديره: ذا يسر كقوله: ﴿قولاً ميسوراً﴾ (1) وقرئ: يسراً بضممتين.

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ السَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا يَبِيًّا ﴿٩٠﴾

وقرئ: مطلع بفتح اللام وهو مصدر. والمعنى: بلغ مكان مطلع الشمس قوله:

كان مجرّ الرامسات نيولها

يريد: كأن آثار مجرّ الرامسات ﴿على قوم﴾ قيل: هم الزنج. والستر: الأبنية، وعن كعب: أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها. فإذا ارتفع النار خرجوا إلى معاشهم، وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت: عن هؤلاء فقيل: بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم، فإذا أحدهم يفرش أنه ويلبس الأخرى، ومعني صاحب يعرف لسانهم فقالوا له: جئتنا ننظر كيف تطلع الشمس؟ قال: فبيننا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي، ثم أفقت وهم يمسخونني بالدهن، فلما طلعت الشمس على الماء إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت، فاندخلونا سرّباً لهم، فلما ارتفع النار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضح لهم، وقيل: الستر اللباس، وعن مجاهد: من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل

(4) رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب: التاريخ، باب: إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوائث (الحديث رقم: 6828).

(1) سورة الإسراء، الآية: 28.

(2) سورة الكهف، الآية: 78.

(3) سورة الأنعام، الآية: 94.

أرضاً مستوية ﴿وكان وعد ربي حقاً﴾ آخر حكاية قول ذي القرنين.

﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ لَجَعْتَهُمْ جَمًّا﴾ (١٩).

﴿وتركنا﴾ وجعلنا ﴿بعضهم﴾ بعض الخلق ﴿يموج في بعض﴾ أي: يضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى، ويجوز أن يكون الضمير لياجوج وماجوج وأنهم يمججون حين يخرجون مما وراء السد مزلحمين في البلاد، وروي: يأتون البحر فيشربون ماءه، ويأكلون نوابه، ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس، ولا يقدر أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس، ثم يبعث الله نغفاً في أفتانهم، فيدخل في آذانهم فيموتون.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ (٢٠).

﴿وعرضنا جهنم﴾ وبرزناها لهم فراوها وشاهدوها.

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَيْمَانُهُمْ فِي غَلَاظٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمًّا﴾ (٢١) ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ (٢٢).

﴿عن نكري﴾ عن آياتي التي ينظر إليها فانكر بالتعظيم، أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها، ونحوه: ﴿صم بكم عمي﴾ (٣) ﴿وكانوا لا يستطيعون سمًّا﴾ يعني: وكانوا صمًّا عنه إلا أنه أبلغ؛ لأن الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به، وهؤلاء كانوا أصميت أسمعهم فلا استطاعة بهم للسمع.

﴿عبادي من دوني أولياء﴾ هم الملائكة يعني: أنهم لا يكونون لهم أولياء، كما حكي عنهم: ﴿سبحانك أنت ولينا من نونهم﴾ (٤) وقرأ ابن مسعود: أظن الذين كفروا، وقراءة علي رضي الله عنه: فحسب الذين كفروا أي: إنكأ فيهم ومحسبهم أن يتخونهم أولياء على الابتداء والخبر، أو على الفعل والفاعل؛ لأن الاسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك: أقاتم الزيدان، والمعنى: أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا، وهي قراءة محكمة جيدة. النزول ما يقام للتنزيل وهو: الضيف ونحوه ﴿فبشرهم بعباد اليم﴾ (٥).

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٣) ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١٤) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكِيدُونَ يَدَهُمْ وَايَاتِي هُتِفَتْ أَعْيُنُهُمْ فَلَا تَرَوْنَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدِ آنَسَ مِنْ ذَلِكَ صِرَائِهِمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَغَدَّوْا أَلْسِنَتِي وَرُسُلِي هُرُوا﴾ (١٥).

يخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال. وقرئ: سداً وسداً بالفتح والضم.

﴿قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعْيُونِي فَوقَ جَمَلٍ يَنْبَغُ وَيَتَنبَغُ رَدْمًا﴾ (١٥) ﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفِخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَمَلُهُ نَارًا قَالَ مَا أَتُونِي أَقْرَبَ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ (١٦) ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَبَأًا﴾ (١٧).

﴿ما مكني فيه ربي خير﴾ ما جعلني فيه مكيناً من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج، فلا حاجة بي إليه كما قال سليمان صلوات الله عليه ﴿فما أتاني الله خيراً مما أتاكم﴾ (١) قرئ: بالإدغام وبفكه ﴿فأعيني ببقوة﴾ بفعله وصناع يحسنون البناء والعمل، وبالآلات ﴿ردمًا﴾ حاجزاً حصيناً موثقاً، والردم أكبر من السد من قولهم: ثوب مردم رقاع فوق رقاع. قيل: حفر الأساس حتى بلغ الماء، وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب، والبنيان من زبر الحديد، بينهما الحطب والفحم، حتى سداً ما بين الجبلين إلا أعلاه، ثم وضع المنافع حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي، فاختلف والتصق بعضه ببعض وصار جبلاً صلباً. وقيل: بعد ما بين السنين مائة فرسخ. وقرئ: سوى وسوي، وعن رسول الله ﷺ: «إن رجلاً أخبره به فقال: كيف رأيت؟ قال: كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء. قال: قد رأيت». (٢) والصدفان بفتحيتين: جانباً الجبلين لأنهما يتصانفان أي يتقابلان، وقرئ: الصدفين بضميتين، والصدفان بضمّة وسكون، والصدفان بفتح وضمّة. والقطر النحاس المذاب؛ لأنه يقطر و﴿قطرًا﴾ منصوب بقرع وتقديره: أتوني قطراً أفرغ عليه قطراً فحذف الأول لدلالة الثاني عليه. وقرئ: قال اثنتوني أي: جيئوني ﴿فما استطاعوا﴾ بحذف التاء للخفة؛ لأن التاء قريبة المخرج من الطاء، وقرئ: فما اصطاعوا بقلب السين صادًا، وأما من قرأ: بإدغام التاء في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد ﴿أن يظهروه﴾ أي: يعلوه أي: لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه، ولا نقب لصلاته وثخانتة.

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي إِذَا جَاءَ وَعَدَّ رَبِّي جَمَلًا دَكًّا وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (١٨).

﴿هَذَا﴾ إشارة إلى السد أي: هذا السد نعمة من الله ﴿رحمة﴾ على عباده، أو هذا الإقذار والتمكين من تسويته ﴿فإذا جاء وعد ربي﴾ يعني فإذا لنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي. جعل السد ﴿دكًّا﴾ أي: منكوكاً مبسوطاً مسوى بالأرض، وكل ما انبسط من بعد ارتفاع فقد انكس، ومنه الجمال الأناك المنبسط السنام، وقرئ: نكاه بالمد،

(1) سورة النمل، الآية: 36.

(2) رواه الطبري في تفسيره وابن مردويه، (الزليعي 2/312).

(3) سورة البقرة، الآيتان: 18 و171.

(4) سورة سبأ، الآية: 41.

(5) بعض آية ورد في ثلاثة مواضع منها: سورة آل عمران، الآية: 21.

لِقَاءِ رَبِّهِ. فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ آمَدًا ﴿١٧﴾.

﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ فمن كان يؤمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول، وقد فسرنا اللقاء، أو أقمن كان يخاف سوء لقائه.

والمراد بالنهي عن الإشراك بالعبادة أن لا يراي بعمله وأن لا يبتغي به إلا وجه ربه خالصاً لا يخلط به غيره، وقيل: نزلت في جندب بن زهير، قال للنبي ﷺ: إني أعمل العمل لله فإذا اطلع عليه سرنني فقال: «إن الله لا يقبل ما شورك فيه»<sup>(4)</sup>. وروي أنه قال: «لك أجران أجر السر وأجر العلانية»<sup>(5)</sup>. وذلك إذا قصد أن يقتدى به، وعنه ﷺ: «اتقوا الشرك الأصغر قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء»<sup>(6)</sup>.

وعن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه، ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء»<sup>(7)</sup>. وعنه ﷺ: «من قرأ عند مضجعه ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ كان له من مضجعه نوراً يتلألا إلى مكة، حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم، وإن كان مضجعه بمكة كان له نوراً يتلألا من مضجعه إلى البيت المعمور، حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ»<sup>(8)</sup>، والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة مريم مكية

كَهَيِّصَ ﴿١﴾ ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَوْفًا وَخِيفًا ﴿٣﴾.

﴿كهيص﴾ قرأ بفتح الهاء وكسر الياء حمزة، وبكسرهما عاصم. وبضمهما الحسن، وقرأ الحسن: نكر رحمة ربك أي: هذا المتلو من القرآن نكر رحمة ربك، وقرئ: نكر على الأمر. راعى سنة الله في إخفاء دعوته؛ لأن الجهر والإخفاء عند الله سيان، فكان الإخفاء أولى؛ لأنه أبعد من الرياء وأدخل في الإخلاص. وعن الحسن: نداء لا رياء فيه، وإخفاء لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبرية والشيوخوخة، أو أسره من مواليه الذين خافهم، أو خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ: صوته خفات وسمعه تارات، واختلف في سن زكريا عليه السلام،

﴿ضل سعيهم﴾ ضاع وبطل وهم: الرهبان، عن علي رضي الله عنه كقوله: «عاملة ناصبة»<sup>(1)</sup> وعن مجاهد: أهل الكتاب، وعن علي رضي الله عنه: أن ابن الكوا ساله عنهم فقال: منهم أهل حروراء، وعن أبي سعيد الخدري: يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة، فإذا وزنوها لم تنزن شيئاً ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ فيزدرى بهم، ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار، وقيل: لا يقام لهم ميزان؛ لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين، وقرئ: فلا يقيم بالياء.

فإن قلت: الذين ضل سعيهم في أي محل هو؟ قلت: الأوجه أن يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم؛ لأنه جواب عن السؤال، ويجوز أن يكون نصباً على الذم أو جراً على البديل ﴿جهنم﴾ عطف بيان لقوله جزأؤهم.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْآزْدَدِينِ نُورًا ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَغْمُونَ فِيهَا أَبَدًا وَلَا تَبْدِيلٌ لِجَنَّتِمْ رَبِّي لَتَبْدَأَ آيَةَ قَوْلٍ أَنْ نَقَدَّ كَيْفَ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِبِئْرٍ مَدَّآ ﴿١٨﴾.

الدول: التحول. يقال: التحول: حال من مكانه حولاً كقولك: عانني حبها عوداً يعني: لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم إلى اجمع لأغراضهم وأمانهم وهذه غاية الوصف؛ لأن الإنسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامع الطرف إلى أرفع منه؛ ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود.

المعاد: اسم ما تمد به النواة من الحبر، وما يمد به السراج من السليط، ويقال: السمد مداد الأرض، والمعنى: لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مداداً لها والمراد بالبحر: الجنس ﴿لنفد البحر قبل أن تنفذ﴾ الكلمات ﴿ولو جئنا﴾ بمثل البحر مداداً لنفد أيضاً والكلمات غير نافذة و ﴿مدداً﴾ تمييز كقولك: لي مثله رجلاً، والمد مثل المدد وهو: ما يمد به، وعن ابن عباس رضي الله عنه: بمثله مداداً وقرأ الأعرج: مدداً بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به، وقرئ: ينفذ بالياء، وقيل: قال حيي بن أخطب في كتابكم: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾<sup>(2)</sup> ثم قرئ: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾<sup>(3)</sup> فنزلت يعني: أن تلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله.

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ رَبُّدٌ فَتَنَ كَانَ يَرْجُوا

(1) سورة الغاشية، الآية: 3.

(2) سورة البقرة، الآية: 269.

(3) سورة الإسراء، الآية: 85.

(4) نكره الواحدي في أسباب النزول ص 170.

(5) رواه ابن حبان في كتاب: البر والإحسان، باب: ما جاء في الطاعات

ونوابها (الحديث رقم: 375) والترمذي في كتاب: الزهد، باب: عمل =

(6) رواه أحمد في مسنده 428/5، والبيهقي في الشعب، باب: في إخلاص العمل لله تعالى وترك الرياء (الحديث رقم: 6831).

(7) رواه أحمد في مسنده 439/3.

(8) كشف الاستار، كتاب: الإنكار، باب ما يقرأ في الليل، (الحديث رقم: 3108).